

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولود معمري تيزي-وزو

كلية الآداب واللغات

قسم الأدب العربي

مذكرة لنيل شهادة الماجستير

التخصص: اللغة والأدب العربي

الفرع: علوم اللغة

إعداد الطالبة: آيت الجودي فتيحة

الموضوع:

جدلية المعنى اللغوي والمعنى المجازي
في أساس البلاغة للزمخشري

لجنة المناقشة:

د/بوجمعة شتوان، أستاذ محاضر صنف أ ، جامعة تيزي وزو.....رئيسا

أ. د/ آمنة بلعلى، أستاذة التعليم العالي ، جامعة تيزي وزو مشرفا ومقررا

د/السعيد حاوزة، أستاذ محاضر صنف أ ، جامعة تيزي وزو.....ممتحنا

تاريخ المناقشة: 2012/06/26

إهداء

أهدي هذا العمل إلى:

والدي العزيزين الذين وقفا دائما إلى جانبي وشجعاني ووثقا بي وانتشلاني كل مرة من أحوال الحياة، أطال الله في عمرهما، وأمدهما بالصحة والعافية وأباقهما دائما شعلة هادية لنا إلى سواء السبيل، أشكرهما وأنحني احتراما وتقديرا لأحن وأطيب والدين في الدنيا.

إلى زوجي المحترم الذي كان دائما داعما ومشجعا لي وواقفا إلى جانبي.

أختي باية، عطر حياتي، رفيقة وجودي، المخلصة وصاحبة القلب الكبير والمسامح وفقها .

أختي غنية، ابتسامة روعي وزهرة عمري، ومدللة العائلة، الصغيرة عمرا والمتوقدة ذكاء، وفقها الله.

جدتي التي فرحت لفرحي وأطالت الدعاء لنجاحي وتمنت لي دائما الأفضل أطال الله في عمرها.

كما أحب أن أهدي هذا العمل إلى كل نفس فاعلة للخير وناشرة للعلم والأخلاق.

شكر و عرفان

لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الخالص إلى كل من ساعدني في إتمام هذا العمل -من قريب أو من بعيد- وأخص بالذكر الأستاذة الكريمة آمنة بلعلى لقبولها الإشرافها على هذا البحث، وأفادتني بالنصائح والتوجيهات القيمة.

كما لا أنسى ان أتوجه بالشكر إلى كل أساتذة المعهد وعمال المكتبة وإلى كل من ساعدني ولو بكلمة طيبة.

مقدمة

مقدمة:

اهتم العربُ على غرار شعوب المعمورة بلغتهم، وكان ذلك في مراحل متقدمة من تفتنهم إلى ضرورة الحفاظ على ذلك الموروث الذي يكرس هويتهم ويمجدها وهم المعتزون الفخورون بلغتهم إلى حد الشطط، فاصطبغت نظرتهم للغة العربية بالمعيارية مقارنة بباقي لغات العالم باعتبارهم إياها أفضل اللغات وحببتهم في ذلك اتساعها لكثرة الألفاظ والمعاني فيها، وما زادهم استمساكا بحكمهم عليها وتقديسهم لها نزول القرآن الكريم بها ما دفعهم في مرحلة من ذلك إلى الاجتهاد في تقييدها، فانبرت طائفة منهم تسعى إلى جمع وتدوين ما أمكن من ألفاظ اللغة العربية ومعانيها حتى تكون منهلا لمن نسي منها شيئا وحجة على من أنكر فيها أمرا.

ومن أهم الوسائل التي اتخذت لخدمة هذا الغرض: تأليف المعاجم، واستبق إلى ذلك الخليل (ت175هـ) بكتابه العين، لتتوالى بعد ذلك المعجمات وتتعدد حسب نوعها سواء كانت من معاجم الألفاظ التي تجعل استقصاء ألفاظ اللغة وجمعها وتبيان معناها غايتها الأولى أو تكون تحت ما يعرف بمعاجم المعاني كالتي تركز على الأضداد وأنواع الصيغ وأنواع الأفعال وغيرها من المسائل التي تصب مجملا في موضوع واحد، وكما تتنوع المعاجم حسب النظام الذي يبني عليه كل معجم وهو طريقة ترتيب المداخل فيه وكان ذلك من اختيار وإبداع المؤلف لذا تسابق الجميع في الإتيان بالجديد والفريد عن باقي ما قد ألف.

فأتى بعد العين الجيم لأبي عمر الشيباني (ت206هـ) فالجمهرة لابن دريد (ت321هـ) ثم البارع للقالبي (ت356هـ) وغيرها من المؤلفات حتى حدود القرن الخامس للهجرة حيث ظهر نظام جديد آخر في تأليف المعاجم، وكان ذلك على يد أبي القاسم محمود بن عمر أحمد الزمخشري (ت538هـ) حين ألف كتابه أساس البلاغة، وجنح فيه عن تقاليد الصناعة المعجمية عند من ألف من أقرانه إلى حدود زمانه في هذا المجال أولا لما وسم معجمه بأساس البلاغة، فلا هو بعين ولا بصحاح ولا بغيرهما وإنما هو أساسُ البلاغة، وقد نجم عن هذا الإطلاق خروج الزمخشري بمؤلفه من دائرة اللغة التي كانت موضوع المعاجم اللغوية كافة إلى حدود علم البلاغة وفنون القول فيها متوسما بذلك من معجمه

أن يكون منهلاً تُؤبُ فيه شعاب اللغة بألفاظها ومعانيها وذلك بعد أن فرقه في اللغة والبلاغة، وتظهر اللغة فيه في اهتمامه الاهتمام الأول بألفاظ اللغة العربية من جانب تقديم شرح لمعناها ومقابلها الدلالي، أما عن البلاغة فإن الزمخشري قد تخطى وظيفة المعجمي الذي يقدم المعنى اللغوي للكلمات إلى وظيفة تتبع المعنى المجازي لأغلب المواد.

اعتمد الزمخشري في ترتيب مواد المعجم على نظام أقل ما يمكن القول فيه إنه جديد ولم يسبقه إلى الأخذ به في مجال الصناعة المعجمية أحد وهي طريقة لازال مأخوذ بها إلى الآن وذلك عند من اهتموا بوجه خاص بالتيسير على الباحث واختصار الطريق عليه في بحثه نحو: أحمد بن فارس في المقاييس والمجمل، الأب لويس معلوف في المنجد، ومجمع اللغة العربية في المعجم الوسيط وغيرهم، إلا أننا مع هذا لا ننكر شيوع استخدام هذه الطريقة عند من كتب في الحديث لما عرف عن هذه الطائفة من إتباعهم في تسجيل أسماء الرواة على هذا الوضع ناظرين في ذلك إلى الحرف الأول فالثاني فالثالث نحو أبي عبد الله البخاري في ترتيب أسماء الرواة، وابن قتيبة في كتابه غريب القرآن.

رتب الزمخشري مواد المعجم وفق الترتيب الألفبائي وجعل كل حرف كتابا مستقثا إياها بكتاب الهمزة فكتاب الباء فالتاء... وهكذا حتى يستوفي قائمة حروف اللغة العربية بحرف الياء.

أما السمة الجوهرية التي تغلبت على جميع سمات هذا المعجم وجعلته يحتفظ بحيويته ومقدرته على مسايرة تطور اللغة لأن الزمخشري كان صدره رحبا لكل جديد؛ فوضع كلام المحدثين موضع الاعتبار والاستشهاد، وتوسع في اللغة عن طريق القياس والاشتقاق، وخالف في بعض الأحيان غيره من المتقدمين وأباح لنفسه مخالفة معاجم اللغة وأتى بكثير من الجديد المقبول الذي لا يجافي منطق اللغة واستعمالاتها لما فرق بين المعنى الحقيقي (والذي اصطلحنا عليه في عنوان بحثنا بالمعنى اللغوي لإفادة الثاني لمعنى الأول وهو المعنى الوضعي للكلمة) عن المعنى المجازي وهو ما دفع بنا إلى خوض غمار البحث والتمحيص في هذا المعجم من جوهر هذا التفريق مُصطلحين على موضوع بحثنا ب: جدلية المعنى اللغوي والمعنى المجازي في أساس البلاغة للزمخشري.

وقد رُنا من هذا الإطلاق تقديم دراسة مستفيضة عن هذا المعجم ليس من سبيل ما تعودنا أن نجد في المؤلفات التي جعلت المعاجم مادة للبحث في مناهجها وطريقة ترتيب المواد فيها وإنما من قبيل الثنائيتين التي انبنا عليهما أساس البلاغة وهما المعنى الحقيقي (اللغوي) والمعنى المجازي لأن أمثال تلك الدراسات قد سبقنا إليها كثيرون في التعرض لها ولم نجد علة من الوقوف عندها وإحاطتها بالدرس سوى في تقديم إشارات بسيطة بغية الحفاظ على التسلسل المنطقي والمنهجي لبحثنا.

أردنا من بحثنا الموسوم بـ "جدلية المعنى اللغوي والمعنى المجازي في أساس البلاغة للزمخشري" التعرض للمعنى اللغوي (الحقيقي) والمعنى المجازي في معجم أساس البلاغة بعقد دراسة لكل معنى على حدة في فصلين منفصلين مُقدمين بذلك للقارئ في الفصل الأول المعقود في المعنى اللغوي دراسة شاملة عن هذا المعنى في أساس البلاغة من باب تقديم طريقة الزمخشري الخاصة في تقديمه للقارئ مركزين على النقاط والعناصر التي أحاطها بالدرس ومنبهين على تلك التي أهملها ما أدى بنا إلى الوقوف على مظاهر هذا التميز في التأليف بالإحاطة بأهم الآليات-أو الإستراتيجيات كما اصطالحنا عليها في المتن-التي اعتمدها المؤلف في تحقيق غايته من هذا التفريق خاصة، بمعنى آخر سنعمل على بسط طريقة الزمخشري وخطته الذكية في التمييز بين المعنيين وكيفيته الخاصة في تقديم المعنى اللغوي والأخرى التي اتخذها في شرحه للثاني ناشدين من ذلك البَحثَ عن الكيفية التي عالج الزمخشري بها المعنى اللغوي وتلك التي يقدم بها المعنى للمجازي لمواد أساس البلاغة مركزين على السمات الجوهرية لطريقته في بيان الشق الأول والثاني والتعريف بمعاني الألفاظ بالتركيز على إستراتيجياته في الأول وتلك التي اتبعتها في الثاني وأردنا بمصطلح "جدلية" البحث في المعنيين اللغوي والمجازي التحقق من توفق الزمخشري في التفريق بين المفهومين وتبعاته من طريقة التقديم والتعريف الخاصة بكل معنى مثلما ميز بين الاصطلاحين أي أننا سنبحث عن المعالم البارزة للدلالة في أساس البلاغة أو المعالم الخاصة بالمعنى اللغوي وتلك المتعلقة بالمعنى المجازي لمواد أساس البلاغة؛ بعبارة أوضح سنقوم في هذا البحث بمناقشة قضية التعريف في معجم أساس البلاغة سواء في التعريف بالمعنى اللغوي أو المجازي للكلمات، مجيبين على الإشكاليات التالية:

- كيف عالج الزمخشري المعنى في أساس البلاغة؟
 - كيف قدم المعنى اللغوي؟ وكيف قدم المعنى المجازي لمواد المعجم؟
 - ما هي مقومات التعريف اللغوي وما هي تلك في التعريف المجازي؟
 - ماهي آلياته واستراتيجياته في بيان معنى الكلمة لغويا ومعناها مجازيا؟
 - هل اتخذ الزمخشري إستراتيجية موحدة لبيان ذلك؟
 - هل ميز بين تلك المتبعة في شرح المعنى اللغوي للكلمات عن تلك التي اتبعها في شرح المعنى المجازي؟
 - هل هناك حقا معنى لغويا في أساس البلاغة وآخر مجازي؟
 - هل استطاع الزمخشري أن يفصل بين المفهومين كما فصل بين الاصطلاحين باعتبار الأول معنى لغويا (حقيقيا) والثاني معنى مجازيا؟
- وابتغاء الوصول إلى إجابات صريحة على الإشكاليات المطروحة سلفا قدمنا الفرضيات التالية محاولين في كامل البحث إثبات صحتها من عدمها ويظهر ذلك في المتن إما على شكل عناوين رئيسة وإما تظهر الإجابة عنها في تحليلاتنا دونما التصريح بذلك علنا تحت عناوين محددة، وهي:
- عالج الزمخشري المعنى في أساس البلاغة بالتفريق بين اللغوي والمجازي ويظهر ذلك بعبارة الفاصلة بين الاثنيين **ومن المجاز** وما انحدر منها من اصطلاحات نحو ومن المستعار ومن الكناية. كانت معالجته للمعنى اللغوي بالتركيز على محاور معينة ومعالجته للثاني كانت بتركيزه على محاور أخرى مختلفة. اتخذ الزمخشري استراتيجيات موحدة في معظم الأحيان حين يشرح المعنى اللغوي وأخرى مختلفة عن الأول لكنه جاء بها موحدة حين يشرح المعنى المجازي للكلمات لأن أصل التفريق حاصل بالفعل فالمعنى اللغوي ليس بالمعنى المجازي لذا كان التفريق بين الآليات والاستراتيجيات تحصيل حاصل أي

أنه جعل من أول شرحه لمعاني مواد الأساس طريقة واحدة في كل معنى اتخذته منارة له من أول إلى آخر شرح لمعاني مواد الأساس.

ميز الزمخشري بين الاصطلاح على المعنى الأول والثاني لكنه لم يتقيد بهذا التمييز والتفريق، يجعل الزمخشري يجمع بين المعنيين في مواضع عدة من الأساس.

وللوصول إلى الغاية التي نشدناها من كل هذا البحث اتخذنا من المنهج الاستقرائي التحليلي وسيلة للكشف عن هذه الاستراتيجيات لأنه الأصلح في مثل هذه الدراسات التي تصب في صلب الدراسات المعجمية بصفة عامة، إذ استقرأنا مواد أساس البلاغة جميعاً من باب الهمزة لباب الياء واقفين عند كل شرح سواء في دراستنا للمعنى اللغوي أو عند دراستنا لنظيره المجازي محللين أغلب المظاهر التي سادت في كلا الشرحين ومقدمين إياها للقارئ في بحث أسسناه على الخطة التالية: مقدمة وتمهيد.

الفصل الأول: الذي عقدناه في المعنى اللغوي من المعجم والذي وسمناه بـ المعنى اللغوي في أساس البلاغة. ليتفرع إلى عناوين تخدم العنوان الأول الرئيس وهي: مقومات المعنى اللغوي في أساس البلاغة واستراتيجيات الزمخشري في شرح المعنى اللغوي، والذي يتفرع بدوره إلى عناوين أخرى تظهر للقارئ تبعاً إن هو وأصل في الإطلاع على كامل مضمون البحث أما **الفصل الثاني:** فجعلناه - مثلاً هو متوقع - في المعنى المجازي والذي عبرنا عنه بـ المعنى المجازي في أساس البلاغة، وفرقناه في عناوين فرعية أولها: مقومات المعنى المجازي في أساس البلاغة واستراتيجيات الزمخشري في شرح المعنى المجازي وغيرها من العناوين. ليصل البحث بنا إلى خواتمه في **خاتمة** للعمل متبوعة بـ **قائمة المصادر والمراجع.**

اعتمدنا في مسيرة بحثنا على عدد محدود من المراجع، لأن موضوعنا قد يعد الأول من نوعه في هذا السياق أي من قبيل تقديم دراسة عن المعنى اللغوي والمجازي في أساس البلاغة وطريقة الزمخشري في معالجة التعريفين اللغوي والمجازي لمواد الأساس لأن أغلب ما كتب عن المعجم يصب في الكشف عن منهج الزمخشري من باب ترتيب المواد مقدمين له في صفيحات مختصرة معرفين بالمؤلف ومنهجه ومقدمين لبعض من

أمثلة شروح المواد المجازية دون تقديم ملاحظات معتبرة في الأغلب، لذا كان تركيزنا في البحث منحصرا على أساس البلاغة بالدرجة الأولى لأن دراستنا تستوجب منا ذلك في الأساس لاعتباره المدونة الرئيسة والأولى لكن ذلك لم يمنعنا من الإطلاع على ما قد قيل وكتب وحول هذا المعجم تحت ما يصب في العموم في صلب الدراسات المعجمية نحو مؤلفات عن المعاجم اللغوية وكتاب من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا لمحمد رشاد الحمزاوي، والمعجم العربي نشأته وتطوره لمؤلفه حسين نصار الذي أفدنا منه كثيرا في تحديد معالم البحث والخروج به بالصورة التي هو عليه.

إضافة إلى إطلاعنا على كتاب مناهج البحث في اللغة والمعاجم لعبد الغفار حامد هلال ومراجع أخرى جاء ذكرها في خاتمة الكتاب كلها ساهمت بالكثير أو بالقليل في إثراء موضوع البحث.

أما عن الصعوبات التي واجهتنا وعرقلت كثيرا مسيرة بحثنا فإنها تراوحت بين حجم المعجم الكبير إذ كان لا بد لنا أثناء البحث في إستراتيجية واحدة قراءة المعجم بكامله ونعيد ذلك مرات عدة في بحثنا في المعنى اللغوي ونكرر العملية نفسها حين ننقل إلى المعنى المجازي فكان ذلك يأخذ منا كل الجهد، وبين عامل الزمن المحدود الذي كان دائما في عجلة ما أدى بنا في أحيان عدة إلى غض الطرف عن أمور كانت ستثري البحث أكثر لو تطرقنا إليها وأشارنا إليها في المتن، إضافة إلى المشكلة التي يعاني منها كل باحث وهي مسألة المراجع التي أحسنا بقلتها خاصة في بداية البحث وأغتنم الفرصة هنا لأشكر كل من أعانني بمرجع أو بنصيحة وأخص بالذكر الأستاذة المشرفة آمنة بلعلی.

وفي الأخير نرجو أن يحقق بحثنا هذا الغاية التي توسمناها منه من تقديم دراسة تعرف بمعجم أساس البلاغة بصورة واضحة ومبسطة في كل ما تطرقنا له من نقاط من بداية البحث إلى نهايته عن المعنى اللغوي والمجازي في أساس البلاغة من باب معالجة قضية التعريف في كليهما وما إلى ذلك من النقاط التي أحطناها بالدرس من بداية البحث إلى نهايته.

تمهيد:

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، ولد بزمخشري وهي قرية كبيرة من قرى خوارزم، وإليها نسب وذلك يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة ٤٦٧هـ.

برز الزمخشري في علوم شتى كالأدب والنحو، وعُدَّ إماماً في التفسير واللغة، وقد تلقى الأدب عن أبي منصور محمود بن جرير الطبري الأصبهاني، وأبي الحسن علي بن المظفر النيسابوري، وسمع من شيخ الإسلام أبي منصور نصر الحارثي، وأبي سعد الشتاني، وغيرهم ممن تطلعت إليه ذوو البصائر والأفهام.

انطلق الزمخشري عند تأليف معجمه أساس البلاغة من المقدمة العامة التي انطلق منها معظم من سبقوه ممن اشتغل في حقل الصناعة المعجمية، والمتمثلة في الدفاع عن القرآن الكريم ضد الهجمات التي يشنها بعض الملحدين، وذلك بالانتصار لبلاغة القرآن من باب خدمة الغاية الدينية.

إلا أن السبب في إخراج معجمه على هذه الشاكلة الفريدة والمميزة نستطيع أن نرجعه إلى تكوينه العلمي البارز وهو الذي تتلمذ على أيدي الكبار من الشيوخ حتى عُدَّ إماماً في التفسير واللغة إضافة إلى ما عرف عنه من تأليف كتب كثيرة تصب في دراسات عن القرآن والحديث من أبرزها الفائق في غريب القرآن والكشاف في علوم القرآن واللذان كانا اللبنة الأولى في تأليف أساس البلاغة وذلك لأن الزمخشري تبنى في هذا الأخير مفاهيم تتجلى للقارئ إن هو عقد مقارنة بسيطة بين المؤلفين وكأن الزمخشري يشرح معنى الآيات القرآنية مثلما يشرح معنى كلمات معجمه في الكثير من النقاط¹.

ويظهر أول ما يظهر هذا التميز حين وسم الزمخشري معجمه بأساس البلاغة ولو كان معجماً لغويًا في الأساس إلا أن صاحبه قد جنح فيه عن أمور كثيرة كانت من تقاليد الصناعة المعجمية عند العرب آنذاك حين اتخذ لنفسه أسلوباً خاصاً في ترتيب مواد معجمه ذلك الذي يبتدئ بالهمزة ويأتي بالواو قبل الهاء.

¹ ينظر: الجويني مصطفى الصاوي، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، منشورات دار المعارف، مصر، 1968.

أضف إلى ذلك كون الزمخشري لم يأت بالكلمات مرسله بددا وطرائق قددا وإنما ساقها متناسقة ومتناظمة كما عبر عن ذلك في مقدمة الكتاب، أي أنه لم يهتم بالكلمة من حيث حشد مشتقاتها والدلالات التي تفيدها وإنما قصد إلى إيرادها في سياقات وتراكيب لغوية والتي تقوم بتحديد معناها وتقريبه إلى القارئ، وهو ما لم يكن معتاد الإتيان به عند من سبقوه من المعجميين العرب ما يفسر بالتالي حرص الزمخشري في أخذ مادة معجمه من مصادر خاصة ومتنوعة وهو « ما فصح من لغات العربية وملح من بلاغتها وما سمع من الأعراب في بواديها ومن خطباء الحلل في نواديها ومن قراضبة نجد في أكلائها ومراتعها ومن سماسرة تهامة في أسواقها ومجامعها وما تراجزت به السفاة على أفواه قلبها وتساجعت به الرعاة على شفاه عليها وما تقارضته شعراء قيس وتميم في ساعات الممانتة وما تزاملت به سفراء ثقيف وهذيل في أيام المفاتنة »

ويبقى الأمر الأكثر خصوصية في معجم أساس البلاغة إذا ما قورن بباقي المعاجم الموضوعية في اللغة هو تفريق الزمخشري فيه بين المعنى اللغوي والمعنى المجازي للكلمة بإفراجه المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح وهو في ذلك يدعم لا محالة الفكر المعتزلي الذي ينتمي إليه ويتشيع له إلى حد المغالاة والقائل باتساع المجاز في القرآن وبالتالي اتساعه أيضا في لغة العرب باعتبار القرآن قد أنزل بلسان عربي.

من هذا التمييز بين المعنيين بالتحديد انبجس موضوع بحثنا، وفيما يلي سنوضح منهج الزمخشري الخاص في تقديم كلا الشرحين بتحديدنا للآليات التي سار على هديها في شرح المعنى اللغوي للمواد وتلك التي اعتمدها في شرحه لما اعتبره من المجاز.

الفصل الأول

المعنى اللغوي في أساس البلاغة

١. مقومات التعريف اللغوي عند الزمخشري في أساس البلاغة

1. الأصوات في أساس البلاغة

2. ضبط الكلمة من الناحية النطقية

3. الضبط بالنص أو العبارة

4. الضبط بالوزن أو المثال

2. الصرف في أساس البلاغة

6. تتبع المشتقات في الشرح

1.6. الأفعال

2.6. المصادر

3.6. الصفة المشبهة

7. بيان المفرد والجمع

1.7. بيان النسب إلى الاسم

2.7. بيان جنس الكلمة من حيث التذكير والتأنيث

أ. الدلالة في أساس البلاغة

ب. النحو في أساس البلاغة

٢. استراتيجيات الزمخشري في شرح المعنى اللغوي

1. التعريف الاسمي

2. التعريف الفعلي

3. الشرح بالتعريف

1.3. شرح المعنى بالمغايرة

2.3. الشرح بالمرادف

أ. التفسير بكلمة واحدة

ب. التفسير بأكثر من كلمة

4. اللجوء إلى السياق في بيان المعنى اللغوي

1.4. عبارات مسجوعة

2.4. أبيات من الشعر

3.4. الأمثال

4.4. الاستعانة بالآيات والأحاديث

5. الاستشهاد بغيره وبنفسه أثناء الشرح

6. مبادلات المعنى اللغوي والمجازي في أساس البلاغة

المعنى اللغوي في أساس البلاغة:

من نافلة القول في هذا السياق، الإشارة إلى أن الزمخشري عند تأليفه أساس البلاغة اعتمد في جمع المادة اللغوية على وسيلة الإحصاء الناقص بـ «الاقتصار على بعض مفردات اللغة واختيارها من دون غيرها»²، وأول من اعتمد هذا النهج في تأليف المعاجم هو ابن دريد وقد أشار إلى هذا النوع في مقدمة جمهرة اللغة من اقتصار طريقته في جمع المادة المعجمية على المشهور والصحيح، ولالإمام بمادة أساس البلاغة التي حددها اتخذ الزمخشري من النقل مما قد سبق واطلع عليه في المؤلفات التي تخدم غرضه المعجمي من قريب أو بعيد وسيلة أولى، إضافة إلى وسيلة السماع من أفواه كبار الشيوخ وأئمة اللغة الذين ارتاد مجالسهم وحضر لقاءاتهم إضافة إلى ما تلقفه في الأسواق التي ما فتئت تعج بأصحاب القريض والمهتمين بالمقارعة والمناظرة وهو ما صرح به في المقدمة من الاعتماد «على ما سمع من الأعراب في بواديها ومن خطباء الحلل في نواديها، ومن قراضبة نجد في أكلائها ومراتعها...وما تقارضته شعراء قيس وتميم في ساعات المماتنة...وما طولع في بطون الكتب ومتون الدفاتر»³

أما عن منهج الزمخشري في ترتيب المواد فإنه «اتبع طريقة الهجائية العادية التي ترتب الكلمات حسب الحرف الأول والثاني وما يليهما، فينظر إلى الحرف الأول على أنه هو الباب أو الكتاب والثاني هو الفصل»⁴ مشيراً في مقدمة الكتاب على أنه قد رتب كتابه على أشهر ترتيب متداول وأسفله متناولاً، يهجم الطالب على طلبته موضوعة على طرف الثمام وحبل الذراع، من غير أن يحتاج في التفتير عنها إلى الإيجاف والإيضاع⁵.

² حيدر جبار عيدان، المتن اللغوي في المعجم العربي القديم دراسة في كيفية المعالجة، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد السادس، حزيران 2008، ص 07.

³ مقدمة أساس البلاغة.

⁴ مناهج البحث في اللغة والمعاجم، ص 437.

⁵ ينظر مقدمة أساس البلاغة.

وهو أسلوب جديد في ترتيب مواد المعجم إذ يعد الزمخشري من بين الأوائل المتخذين به والعاملين بأسسه حيث عُرف عن هذا الترتيب أنه قد شاع عند المؤلفين في الحديث الذين اهتموا بذكر أهم رواة الحديث مرتبين أسماء من جاؤوا على ذكرهم على هذا الأساس وهي طريقة يسهل معها على الباحث الوصول إلى ما يريد من أقرب سبيل وذلك بأن يجرد الكلمة التي يبغى البحث عن معناها من الزوائد ثم ينظر إلى الحرف الأول منها ليعين الباب الذي سترد فيه، بعدها ينظر إلى الحرف الثاني فالثالث... والتي اتخذ لها الزمخشري فصولاً - دون أن يُعلم عليها صراحة في ثنايا المعجم - قصد تحديد المكان الذي سيأتي فيها ذكرها بدقة دون أن يتكبد عند ذلك الباحث عناء الانتقال من نهاية المعجم إلى بدايته فوسطه ما يؤدي إلى تشتيت ذهنه مثلما جرت عليه العادة عند البحث في البعض من المعاجم التي أبدع أصحابها في منهج ترتيب مداخلها إلى حد الإيقاع في الشطط واللبس، خاصة وأن «من حصل هذه الخصائص وكان له حظ من الإعراب الذي هو ميزان أوضاع العربية ومقياسها ومعيار حكمة الواضع وقسطاسها، وأصاب ذروا من علم المعاني وحظي برش من علم البيان، وكانت له قبل ذلك كله قريحة صحيحة، وسليقة سليمة، فحل نثره، وجزل شعره، ولم يطل عليه أن يناهز المقدمين، ويخاطر المقرمين»⁶ فلم يؤلف الزمخشري أساس البلاغة لعامة الناس كما يفهم مما سقناه من عبارته، وإنما للخاصة منهم وهو أمر شاع في صفوف الكثير من مؤلفي المعاجم من تركيزهم على فئة معينة أو تصورهم لقارئ محدد - باصطلاح المحدثين - يؤلفون له ذاك المعجم وليس لكافة الناس، وهذا ما يعلل عدم اكتراث الكثير باستقصاء ما أمكن من ألفاظ اللغة العربية، والزمخشري واحد من هؤلاء إذ ألفت الأساس لمن أحاطوا بقدر لا بأس به من علوم العربية فيكون لهم هذا المعجم «منهلاً يغترف منه الواردون إليه جواهر اللغة، وغرر البلاغة وأدوات الفصاحة فإذا توفر لهم قدر من روائع مادته اللغوية فوعوها وتدقوها جعلت منهم أدباء وبلغاء، وبذلك يكون قد أسهم في تكوين نخبة من أولي البيان العربي الذين يقفون

⁶ مقدمة أساس البلاغة، ص 08.

على أغراض علمي المعاني والبيان بإطلاعهم على هذا المؤلف الفريد في اتجاهه ومسلكه»⁷.

وهو ما جعله لم يهتم بحشد أكبر عدد ممكن من ألفاظ اللغة العربية لأن غايته لم تكن استقصاء كلمات اللغة العربية ومعانيها وتدوينها في كتاب وفق ترتيب خاص لمداخله لأن «المعجم لا يقاس بحجمه وكثرة عدد كلماته بل بالوظيفة التي يؤديها»⁸ والخدمة التي يقدمها لمستعمليه، بل ركز الزمخشري في الأساس على الاستخدامات اللغوية وحرص على إيرادها في جمل وعبارات بليغة بحيث تدعم مهارة المتكلم وتقوم قريحته حتى لا يبتعد عن صحيح اللغة ولا يهجر استقامتها ليكون بذلك كلامه حجة له على غيره مكرسا بذلك أصول الإهترال وفنون الكلام البليغ وهو ما يظهر في إكثاره من هذه التراكيب في متن المعجم ليلقن المتكلمين المبتدئين أسس القول وفنونه. وكأن الزمخشري في أساس البلاغة أراد أن يُعلم النشء كيفية القول والتعبير عن الأوضاع بأسلوب فني بليغ بأن يُدْفِظَهُ ما حَسُنَ من العبارات وما فَصَحَ من الكلمات ويجعل بين يديه أداة طيعة يقصدها كلما استغلق عليه لفظ أو اضطرب عنده معنى أو استعصى عليه التعبير عن موضوع، وهو ما يفسر عدد المواد القليل إذا ما قورن بعددها في المعاجم التي سبقتة وفي تلك التي جاءت في أعقابه والتي تشترك جميعا في السعي إلى جمع أكبر عدد ممكن من كلمات اللغة العربية وإزالة الإبهام عنها حتى يحيط القارئ الباحث بأصول هذه اللغة من حيث الألفاظ ومعانيها على السواء.

جاء الزمخشري بأغلب مواد معجمه من الثلاثي وقليلة هي المواد الرباعية التي قد ذكرها وأقلا منها تلك التي أوردتها خماسية، فلا عجب إذا إن سقطت بعض الكلمات من معجمه حتى وإن كانت مستعملة إضافة إلى تغييبه للبعض الآخر من باب ورودها فيما يعرف بالمهمل، فجاءت بذلك بعض الأبواب منه قليلة الحظ من حيث عدد المواد، ومن أمثلة ذلك باب الدال والذي حد من عدد المواد فيه في فصل الدال مع الألف فجاء ب: دأب، دأد، دأل، دأي، وفي باب الزاي نجده أفرد له المواد التالية فقط: زأد، زأر، زأم. وذكر

⁷ عبد الغفار حامد هلال، مناهج البحث في اللغة والمعاجم، ط1، 1991، ص436.

⁸ محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1986، ص170.

في الضاد مع الهمزة: ضاضاً، ضأن، وعن ما ذكره في القاف مع الدال: قدح، قدد، قدر، قدس، قدع، قدمن قدو. وفي الكاف مع الثاء: كثن كثن، كثر، كثل، كثم، وفي النون مع الهمزة: نأناً، نأج، نأد، نأش، نأم، نأي... كذلك أتى على ذكر عدد قليل من المواد في باب الياء إلى غير ذلك من الأمثلة أين استغنى الزمخشري في أساس البلاغة على مواد عدة ما يؤكد أن غايته لم تكن تتبع كلمات اللغة العربية وشرح معناها بقدر ما كانت تأسس « القوانين والمعايير التي تحكم التصرف البلاغي... وأثر ذلك على روعة الأساليب وجمال التراكيب »⁹.

قد يسأل سائل عن العلة من إقامنا لمصطلح **المعنى اللغوي** في البحث والزمخشري في أساس البلاغة لم يأت على ذكره ولو بصفة من الصفات وإنما ذكر ما يصطلح عليه **بالمعنى الحقيقي** للكلمات وهو ما أشار إليه في مقدمة الكتاب قصد التنبيه على القارئ من اهتمامه في المعجم بـ «إفراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح»، أما في المتن أي في ثنايا الكتاب فإنه لم يشر إلى نوع المعنى الذي هو بصدد التعريف به والإحاطة بحدوده وإنما اكتفى بذكره في بداية الشرح عقب المواد المداخل مباشرة كدلالة منه على أنه **المعنى الأول** الذي تعود الناس عليه من إحالة هذا الترتيب الصوتي على هذا المعنى الخاص أو **المعنى العرفي** الذي اتفقت عليه الجماعة اللغوية أو **المعنى اللغوي** أو **المعنى المعجمي** وهي كلها اصطلاحات ذات دلالة متقاربة إن لم نسلم بتماثلها من إرادة المعنى الذي يحمله اللفظ سواء اكتسبه من اتفاق الجماعة اللغوية أو بفعل عاملي الزمان والمكان.

نرجح سبب إطلاق الزمخشري للمعنى الأول في معجمه بالمعنى الحقيقي وأراد منه المعنى الأول الذي اكتسبته اللفظة لارتباط الثاني بمسائل كلامية مثيرة للجدل في تقسيم الكلام إلى حقيقة وغير الحقيقة، وبما أنه أراد خدمة غرض اعتزالي من اعتبار الكلام ليس بالحقيقة المطلقة فقط -إضافة إلى أغراضه الأخرى الواضحة من وراء هذا التقسيم- فإنه حافظ على هذا التفريق بين المصطلحات فاحتفظ بلفظ **الحقيقة** وألحقه **بالمعنى** الذي هو مادة وموضوع كتابه، وبما أننا بصدد تقديم دراسة حول مضمون أساس البلاغة

⁹ مناهج البحث في المعاجم، ص435.

الموضوع في خانة المعاجم اللغوية لأنه يقدم لمعنى الكلمات اللغوي بالدرجة الأولى فاحتفظنا بصفة اللغوي وتخلينا عن الحقيقي لأنه الأنسب والأوضح للقارئ كي لا يتوه في الحدود الفلسفية والمنطقية لمفهوم الحقيقة ونبقي ذهنه في صلة دائمة مع جوهر الموضوع وهو المعنى اللغوي الذي تعود الإطلاع عليه في معاجم اللغة الأخرى.

والحقيقة لغة على حد قول ابن فارس على وزن فعيل بمعنى فاعل من حق الشيء إذا ثبت، أو بمعنى حققت الشيء إذا أثبتته، ف «الحاء والقاف أصل واحد، وهو بدل على أحكام الشيء وصحته ويقال حق الشيء: وجب»¹⁰، «فالحقيقة في اللغة إذن مأخوذة من الحق وهو الثابت»¹¹، ويعرفها القزويني بأنها «الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب»¹²، أما عن الحقيقة اللغوية فإن الكلام فيها يرجع إلى مسألة علاقة اللفظ بالمعنى أو علاقة المتكلم بالقول باعتبار مدى قدرته على بلوغ الغاية أو القصد من التراكيب التي يتلفظ بها، ويقصد بمفهوم القصد «ما يريد المتكلم من كلامه، وما يرمي إليه من خطابه، وتفاوت الصياغة، وتغير نظم الكلام من تقديم وتأخير، حذف وإضمام»¹³ وبما أن الزمخشري قد عاش في حدود القرن الخامس فإنه لامحالة قد طالته الفكرة التي راجت في القرن الرابع من اعتبار الحقيقة «معنى يدل عليه الكلام، فقد يقصده المتكلم أو لا يقصده، وحين يقصده المتكلم فكلامه على الحقيقة»¹⁴ والمعنى من هذا الكلام أننا نتحدث عن الحقيقة اللغوية حينما يستعمل المتكلم ألفاظا في تراكيب تستقيم مع أصل وضعها في اللغة، بالإضافة إلى مفهوم الحقيقة وبروز مفهوم الاستعمال تبرز كذلك في هذا القرن فكرة الاحتكام للتركيب لا للفظ المعزول لكون الأخير لا يفيد معنى الكل بذاته. أما المعنى اللغوي الذي جعلنا منه اللبنة الأولى في بناء صرح بحثنا فإنه يتقوم على الخصائص اللغوية للكلمة أو العبارة، فهو يبين في المعجم الجانب الصوتي والصرفي النحوي وما تحيل إليه من دلالة، بمعنى أن المعنى اللغوي في المعجم يقدم للقارئ معلومات عن الأصوات اللغوية التي تتشكل منها الكلمة ودلالاتها فمثلا الفاء

¹⁰ ينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة حق.

¹¹ طاهر محمود محمد يعقوب، أسباب الخطأ في التفسير، دار الجوزي، ط1، المملكة العربية السعودية، ص238.

¹² جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص128.

¹³ سمير أحمد معلوف، حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز دراسة في المجاز الأسلوبي واللغوي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1996، ص80.

¹⁴ المرجع السابق، ص81.

والصاد والحاء تفيد الصفاء، كما يضع أمام القارئ الصفة الصرفية للكلمة وما تحيل عليه من دلالة، فالعرب قديماً يهتدون إلى معنى الكلمة استناداً لوزنها الصرفي فمثلاً يفهم من وزن كلمة مصارعة استناداً إلى وزنها الذي جاء بصيغة مفاعلة أن الكلمة تفيد في إحدى معانيها معنى المشاركة والمصارعة لا تكون إلا باجتماع اثنين أو أكثر، وهو ما أفاده وزن الكلمة قبل التطلع إلى دلالتها، أما عن عنصر النحو فإنه يكون بمعرفة معنى الكلمة بالرجوع إلى رتبها في الجملة ففي جملة ضرب موسى عيسى يمكن التعرف على الفاعل فيها استناداً إلى مبدأ الرتبة التي تقتضي أن يأتي الفاعل مباشرة بعد الفعل بالتالي يكون الفاعل موسى أما المفعول به فهو عيسى.

أما بخصوص عنصر الدلالة فإنه يبحث في المعنى الأول أو الوضع الأول أو الحقيقية اللغوية التي يشترط لها لتكتسب صفة الحقيقة أن تكون مستعملة في موضوعها الأصلي ولكي يتحقق ذلك لا بد من سبق وضعها أولاً ثم إذا استعملت في الحالة الثانية من وضعها في موضوعها الأصلي فهي حقيقة¹⁵.

وانطلاقاً مما سقناه فإننا سنحاول تمثل المعنى في أساس البلاغة بالوقوف على هذه النقاط التي من المفروض على الزمخشري الوقوف عندها من باب تقديم شرح لمعنى الكلمة لغوياً.

¹⁵ ينظر كتاب لطفي عبد البديع، فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث، الشركة المصرية العالمية للنشر.

١. مقومات التعريف اللغوي في أساس البلاغة:

خصصنا هذا العنصر من البحث لدراسة المتن اللغوي في معجم أساس البلاغة، وابتغاء ذلك كان لزاما علينا تتبع مواد الأساس جميعها واستقراء شروحها والنظر في معناها اللغوي أو التعريف الذي خصه الزمخشري بكل كلمة منه واقفين على أهم المميزات التي تطبع التعريف لديه ومستخلصين أهم المحاور التي دار حولها التعريف في أساس البلاغة ومنتبحين أهم النقاط التي أولى الزمخشري لها الأهمية بالذكر والتحليل مقارنة بمثيلاتها التي أهملها إن صح القول مبرزين كيفية معالجته إياها، فوجدنا المؤلف قد ركز في بيانه للمعنى اللغوي للمواد على ثلاثة محاور كبرى أو ثلاث نقاط أساسية هي الجانب الصرفي والنحوي والدلالي للكلمات سنبين طريقته الخاصة في ذلك فيما يلي من النقاط:

1. الأصوات في أساس البلاغة:

رُمنا من هذا العنصر البحث عن معالم الدراسة الصوتية للغة العربية في معجم أساس البلاغة بالتحديد في المعنى الذي جعله الزمخشري لغويا حين أتى به يلي المادة المدخل مباشرة، إلا أننا بعد أن قطعنا شوطا في البحث والتتقير في شروح مواد أساس البلاغة لم نجد الزمخشري قد تعرض لهذه النقطة بالذات بالصفة التي توقعناها، بمعنى أن المؤلف لم يهتم بتقديم معلومات يمكن أن ندرجها فيما يعد دراسة لأصوات اللغة في شقيها، فإنه لم يكلف نفسه تخصيص حيز لمعالجتها تحت ما يعرف بعلم الأصوات العام القائم على بيان « طريقة نطق الأصوات ومخارجها من جهاز النطق الانساني دون التقيد بلغة بالذات»¹⁶

فالمؤلف لم يجعل في أساس البلاغة أي دراسة من هذا النوع لأصوات اللغة العربية من سبيل ما فعل الخليل وأتباعه من التطرق لهذه النقطة في معرض شرح المعنى اللغوي من قبيل التعقيب على مخارج الأصوات وصفاتها ومميزاتها، ونرجع هذا العزوف إلى اهتمام الزمخشري في أساس البلاغة مثلما أشار إلى ذلك في مقدمة المعجم بالبلاغة

¹⁶ محمد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، 1966، ص 60.

الحاصلة في التركيب اللغوي وما يفيد من معنى كما أننا قد نوعز هذا التغييب لإحدى عناصر الدراسة إلى اعتماد الزمخشري على الترتيب الألفبائي لا الصوتي في ترتيب مواد المعجم، كما أن الزمخشري لم يتعرض لأصوات اللغة في شقها الثاني والمعروف في حقل الدراسة اللسانية حديثا بالدراسة الوظيفية لأصوات اللغة أو علم الأصوات الوظيفي والذي يدرس فيه « طريقة تأدية الأصوات لوظيفتها في اللغة وتتنوع دائرة هذه الدراسة لتشمل دراسة الأصوات المركبة فتتحدث عن المقطع والنبرة والنغم»¹⁷ أي أن هذا العلم الدارس للأصوات « يبين خصائصها مستعملة في اللغة، أو طريقة انتلاف هذه الأصوات في التركيب اللغوي فالعين والحاء لا يأتلفان في كلمة واحدة أصيلة الحروف لقرب مخرجيهما»¹⁸، كما لم يتطرق الزمخشري في كامل المعجم للتعريف بوظيفة الأصوات في النظام اللغوي أو الوظيفة التي تؤديها الأصوات وهي مركبة في تأليف خاص، فمعنى كلمة راب يحصل بانتلاف الحروف: الراء، الألف والباء والتي تتحدد بمقارنتها بغيرها من أصوات اللغة والتي تميزها عن بعضها البعض مخارجها، صفاتها ووظيفتها، فالراء ليس بالعين لأنه لو استبدلنا الراء بالعين ووزعناه على المقطع نفسه (راب) فإن المعنى سيتغير لأن راب يختلف عن غاب في المعنى، وكذلك ترقيق الراء ليس كتفخيمه لأن راب الجدار ليس كراب الحليب. وقول المدير لموظفه صباح الخير قاصدا الإدانة والتوبيخ عن التأخير في الموعد ليس كعبارة شخص يريد الحفاظ على العلاقات الاجتماعية من قوله لجاره صباح الخير ويريد بها كيف حاله. إلا أننا مع كل هذا نلفي في الشروح التي خصها الزمخشري لمعنى الكلمات اللغوي قد تطرق بإشارات منه إلى بعض القضايا التي تصب في صلب الدراسة الصوتية للكلمات تتمظهر في:

¹⁷ المرجع السابق، ص60.

¹⁸ المرجع نفسه، ص59.

1.1. ضبط الكلمة من الناحية النطقية:

«اختلف المعجميون القدماء في الاهتمام بهذا الجانب، فالعين، والجمهرة، والتهديب مثلا لم يعن أصحابها بضبط الكلمة»¹⁹ أما عن الزمخشري في الأساس فإن اهتمامه بهذه النقطة بالذات في معجمه أساس البلاغة كان منصبا على أمور عدة مثل:

2.1 الضبط بالنص أو العبارة:

ويظهر من ذلك في شروح المواد كقوله: هو باطل بين البطلان. وبطل بين البطالة بالكسر. وقد بطل بالفتح. وبطل بين البطالة بالفتح، وقد بطل بالضم²⁰، ويقول كذلك فيما هو معنى من معاني مادة سرب:...ومال سارب، ومن ذلك قيل للطريق: السرب لأنه يسرب فيه. وللمال الراعي: السرب لأنه يسرب، وكلاهما بالفتح²¹، والحال نفسه فيما قاله في مادة لكك:...وصبغ الجلد باللك، بالفتح، وهو صبغ أحمر، وجلد ملكوك: مصبوغ به؛ قال الأخطل:

بأحمر من لك العراق وأسودا

وشد نصاب السكين باللك، بالضم، وهو ما ينحت من ذلك الجلد الملكوك²²، خرجت على يده مجلة ومجل كثير، بالسكون²³ والعديد من الأمثلة في أساس البلاغة التي لا يستدعي الأمر ذكرها جميعا.

3.1 الضبط بالوزن أو المثال:

ومن الأمثلة على هذا المنحى في شروح أساس البلاغة ما ساقه في معرض شرح معنى مادة أتي: وطريق ميثاء: مفعال من الإتيان، كقولهم دار دار محلال²⁴،

¹⁹ حيدر جبار عيدان، المتن اللغوي في المعجم العربي القديم دراسة في كيفية المعالجة، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد السادس، حزيران، ص14.

²⁰ أساس البلاغة، مادة بطل.

²¹ المرجع نفسه، مادة سرب.

²² المرجع نفسه، مادة لكك.

²³ المرجع نفسه، مادة مجل.

²⁴ المرجع نفسه، مادة أتي.

ويقول: ...وعن النظر: أثرت أن أفعل كذا، بوزن علمت.²⁵ وشرح معن مادة أثف اللغوي ب: الأثفية ذات وجهين، تكون فعولة وأفعولة²⁶ ويقول الزمخشري في أساس البلاغة: لمسّه ولامسه مثل مسه وماسه²⁷، وعن شرحه معن مادة لقي: رجل ملقو: به لقوة، وقد لقي. ولقيته لقاء ولقيا ولقيا ولقيا ولقى بوزن هدى.

2. الصرف في أساس البلاغة :

أول ما يلفت الانتباه عند قراءة جميع شروح المعنى اللغوي التي جعلها الزمخشري لمواد أساس البلاغة أن المؤلف قد أولى الأهمية الأولى فيه **للفظ** من سبيل تقديمه لمعلومات لغوية عن الكلمات، ونقصد بكلامنا المعلومات الصرفية والنحوية والمعجمية التي حرص الزمخشري على تقديمها عن الكلمات المتفرعة عن المداخل، مع تجاهل الزمخشري التطرق للجانب الأول من مجمل الدراسة اللغوية وهي تقديم دراسة صوتية لأصوات اللغة العربية (وهو ما تطرقنا له فيما سبق تقديمه)

بالمقابل فإن الزمخشري لم يهمل باقي فروع الدراسة اللغوية من اهتمام أثناء ذلك بتقديم نوع من الدراسة **الصرفية والنحوية والدلالية** للكلمات إلا أنه قد تعرض لها بشيء من الجدة والخصوصية التي فرضته وجهة نظره التي انطلق منها لخلق موضوع أساس البلاغة لأنه اهتم أكثر بـ «التوقيف على مناهج التركيب والتأليف، وتعريف مدارج الترتيب والترصيف؛ بسوق الكلمات متناسقة لا مرسلة بددا»²⁸ أي أن المبدأ الذي انطلق منه الزمخشري عند تأليف المعجم من الاهتمام بالتركيب لا الكلمة المفردة المعزولة عن أي سياق لغوي واهتمام ببيان القوانين التي تحكم تقاليد القول والكلام عند العرب جعلته يتطرق للكلمة باعتبارها وحدة قائمة بذاتها بنوع من النقص والمحدودية في الدراسة والتعقيب وهو ما حوّل اهتمامه لأمر ومسائل أخرى.

²⁵ المرجع نفسه، مادة أثر.

²⁶ المرجع نفسه مادة أثف.

²⁷ المرجع نفسه، مادة لمس.

²⁸ مقدمة أساس البلاغة، ص 08.

فالصرف في المعجم» يختص بالكلمة المفردة...تحديد صيغها بالضبط...حركة عين الفعل ماضيا ومضارعا، وهي تحدد بالحركات أو بذكر المثل أو بهما معا، وأحيانا بتعيين الحركة بالألفاظ»²⁹ وهي أمور نجدها على العموم في أساس البلاغة نحو ما يسوقه الزمخشري في الشروح اللغوية من اهتمام بها بشكل غير مطرد «فهو لا يلتزم ذكر المضارع من كل فعل، بل إنه لا يذكره إلا قليلا، وإذا ذكره فإنه يذكره في سياق استعمال»³⁰ لذا فإننا نجد الزمخشري ين :

1.2. تتبع المشتقات في الشرح :

لما اطلعنا على الشروح المتعلقة بالمعنى اللغوي من أساس البلاغة وبالتحديد لما توقفنا عند معنى مادة عرب كان لا بد أن نقدمها عينة على طريق الزمخشري في تقديم معناها من سبيل ذكر مشتقاتها لنجد:

أولاً: لم يجعل من الاستقصاء منهجا له في جمع المادة اللغوية للمعجم، فهو لم يسر على هدي من سبقه في السعي إلى جمع ما أمكن من ألفاظ اللغة بغية إزالة الإبهام عنها بتقديم مقابل دلالي أو شرح للمعنى الذي تقيده لذا جاء عدد المواد قليلا في الأساس.

ثانياً: لم يركز الزمخشري عمله على تقديم أكبر عدد ممكن من مشتقات المواد المدخل أفعالا كانت أو أسماء وهي ظاهرة انفرد بها أساس البلاغة عن باقي المعاجم المصنفة في اللغة، التي تسعى كاهتمام أول إلى الإحاطة بأكثر عدد ممكن من كلمات اللغة ووضعها وفق ترتيب معين مع التزام توضيح معناها وإزالة الغموض عنها بأي وسيلة من وسائل الشرح.

وإن ذكر الزمخشري هذه المشتقات فهو غير حريص على الإتيان بها مرتبة فهناك الكثير من مؤلفي المعاجم الذين ساروا على خطة بيّنة في هذا الشأن وحرصوا على تطبيقها في كامل المعجم بالمقابل نجد آخرين وقعوا في هذه الهنة حين خلطوا بين المشتقات ولم يرتبوها وفق منهجية واضحة وهو ما يتعب القارئ وهو يفتش عن معنى كلمة من الكلمات المتفرعة من المادة المدخل وهو ما وقع فيه الزمخشري في الأساس إذ

²⁹ المرجع السابق، ص75-76.

³⁰ المرجع نفسه، ص76.

كان حرا طليقا في الاستهلال في الشرح بما شاء منها غير مُتقيد بالأصول في الترتيب
كتبني فكرة الاستهلال بالفعل فالاسم إلغ.

لم يشر الزمخشري في مقدمة الكتاب بوضوح إلى منهجه في شرح المعنى اللغوي في
أساس البلاغة وهو ما يشفع له كل ذلك الخلط وانعدام الترتيب وهو يسوق ما تخيره من
المشتقات لأنه ببساطة لم يعتمد على منهج صريح بينة معالمه من بداية المعجم إلى
نهايته وإنما أشار إلى نقاط أخرى تفرد بها أساس البلاغة عن بقية المعاجم من تركيزه
على « التراكيب التي تملح وتحسن، ولا تتقبض عنها الألسن »³¹.

ولكننا بالرغم من ذلك لا ننكر منه في مرات انتحاه في مواضع من الكتاب المنحى
نفسه الذي نجاه من سبقه إلى التأليف في المعاجم حين يسترسل في ذكر المشتقات واحدة
تلوى الأخرى دون أن يأتي بها في سياق لغوي ودون أن يعقب عليها ويشير إلى نوعها
ودون حتى تقديم معناها وإعجام لمفهومها وتوضيحه للقارئ متصلا من مهمته الأولى
من هذا التأليف من إزالة الإبهام والغموض على مواد المعجم.

ونجده أحيانا أخرى بعد سوق كل تلك السلسلة من المشتقات يأتي في الأخير بمعنى
المشتق الأخير وكأنه بذلك قد أحاط بالمعاني جميعها مشتطا في الاختصار إلى حد
الإخلال بوظيفة الأساس إن في عدد المشتقات التي يسوقها أو في الشروح التي يقدمها
نحو ما نجده في شرح مادة خفض: خفض الشيء ورفعته فانخفض. وهو في حال رفعة
وحال خفضة. وختن الغلام، وخفضت الجارية. وفلان خافضة. ونعمت الخافضة!
وخفض رأس البعير إلى الأرض؛ قال:

يكاد يستعصي على مخفضه³²

وعن مادة خصص يقدم معناها كالتالي: خصه بكذا واختصه وخصصه وأخصه،
فاختص به وتخصص. وله بي خصوص وخصوصية. وهذا خاصتي، وهم خاصتي، وقد

³¹ مقدمة أساس البلاغة ص 08.

³² أساس البلاغة، مادة خفض.

اختصاصته لنفسي، وعليك بخويصة نفسك. وهو يستنخض فلانا ويستخلصه. ونظرن من خصائص البيوت. وبدا القمر من خصاصة الغيم؛ قال ذو الرمة:

أصاب خصاصة فبدا كليلا كلا وانغل سائره انغلالا

وقال أيضا:

وجرت بها الدقعاء هيف كأنما تسح التراب من خصاصات منخل³³

والأمر نفسه نجده لما يقدم لمعنى مادة لكأ إذ يقول: تلكأ عن الأمر، وفيه تلكؤ. وما لك متلكأ³⁴، ويقول في معنى مادة ذكي اللغوي: أذكيت النار وذكيتها. وذكت النار تذكو ذكاء. وأصابه ذكاء النار. وذلك النار بالذكوة وهي ما تذكى به. ودخلتُ والمصاييح تذكو؛ قال ذو الرمة:

وقد جرد الأبطال بيضا كأنها مصاييح تذكو في الذبال المفئل

وفرس مذك: أتت على قروحه سنة. وخيل مذكيات ومذاك. وقد ذكى الفرس وبلغ الذكاء؛ قال زهير: يفضله إذا اجتهد عليه تمام السن منه والذكاء

وذكيت الذبيحة. وشاة ذكي. وبلغت ذكاتها³⁵ إلى غيرها من الأمثلة، وفيما يلي عرض مفصل عن أسلوب الزمخشري الخاص في التعريف بالمعنى اللغوي للمواد من سبيل عنايته بـ:

١- الأفعال:

بما أننا قصدنا ونحن في معرض تقديم دراسة مفصلة عن المعنى اللغوي أو الحقيقي كما يفضل الزمخشري الإحالة عليه في أساس البلاغة الكشف عن خصائص التعريف فيه فإننا تبيننا فكرة مسبقة عن مضمون أو محتوى هذا الشرح من ضرورة اهتمام الزمخشري عند ذلك بتقديم أفعال مشتقة من المادة الأساس.

³³ محمد جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، مادة خصص.

³⁴ المرجع نفسه، مادة لكأ.

³⁵ المرجع نفسه، مادة ذكي.

قمنا بتتبع ورود الأفعال في الشرح اللغوي لمواد أساس البلاغة باعتبارها إحدى مقومات المعنى اللغوي من قبيل بعض المسائل كتقديم الأفعال الثلاثية على الرباعية والرباعية على الخماسية، ومسألة التجريد والزيادة، اللزوم والتعدي، وبعد أن قطعنا شوطاً في البحث ألفينا في المعجم أمراً لزم علينا الإشارة إليه في البحث من وجود مواد لم يذكر لها الزمخشري في كامل شرحه لمعناها اللغوي أفعالاً مشتقة منها بأي صفة من الصفات، وتبرز هذه الظاهرة بكثرة في المعجم بشكل خاص في المواد التي شرح الزمخشري معناها بنوع من الإجحاف والتقصير - إن تجوز لنا القول - والذي لا يتعدى أحياناً العبارة الواحدة أو السطر الواحد، ففي المعجم مواد لم يكلف الزمخشري نفسه في بيان معناها سوى تقديمها في عبارة أو عبارتين بليغتين دون توضيح المقصود منها بشكل كاف ودون أن يضمن تلك الشروح أفعالاً منحدره من المادة المدخل وهو الذي كان قد أشار إلى أنه سيحرص على توزيع الكلمة على تراكيب وسياقات متعددة تساعد في توضيح المعنى لكننا نجده يكتفي بوضعها في سياق تاركاً استشفاف المعنى منها للقارئ الذي تصوره الزمخشري من أهل العلم وذو درجة معينة من المعارف شتى نحو ما نجد في شرح مادة: أبش: ما عنده إلا أباشة وهباشة وأشابة. وقوله في مادة حيس: فلان يشبه التيس ليس يظهر الكيس ولا يطعم الحيس، كما شرح معنى مواد عدة بالاكْتفاء بإيرادها في تراكيب لغوية بليغة دون التعقيب عليها بتوضيح معناها كما هو الحال في شرحه لمعنى مادة خراً بقوله: هو أعرف بالخراءة وجاء شرحه لمادة شأب على النحو التالي: جاء شؤبوب من مطر وشأبيب: جواد يعبوب يكفيك من جوده شؤبوب. وقال في مادة صدح: ديك صدوح وصداح: رفيع الصوت.

بالمقابل فإننا ألفينا أغلب مواد أساس البلاغة تحوي شروحها على أفعال مشتقة من الكلمات المداخلتة بها الزمخشري لأنه في مقام شرح الكلمة لغويًا وحتى يقدم للقارئ معلومات لغوية أوفى حين تعرض أثناء ذلك لقضايا عديدة ك:

*تصريف الأفعال وبيان مشتقاتها:

قام الزمخشري في مرات عدة وهو يشرح المعنى اللغوي لكلمات المعجم بسوق الأفعال المنحدرة من المادة المدخل مصرفة إلى بعض الضمائر ليبين للقارئ الوجه الصحيح

لتصريف تلك الأفعال إلى تلك الضمائر مجنبا إياه الوقوع في اللبس ما قد يسبب لغير العارف بها الوقوع في الخطأ لجهله بالتغييرات التي قد تلحق بذاك الفعل المصروف إلى تلك الضمائر المخصوصة ومن الأمثلة على ذلك قوله في مادة سيل: سال الماء في مسيله ومسايله، وأسلته وسيلته، ونزلنا بواد نبتة ميال وماؤه سيال...³⁶، ونحو ما ساقه في معرض بيان المعنى اللغوي لمادة ظلل: أظلني الغمام والشجر، وظلني من الشمس، وتظلت أنا واستظلت، وظل ظليل، وأيكة ظليلة، ويوم مظل: دائم الظل، وقد أظل يومنا، وقعدنا تحت ظلة وظلل...³⁷

يأتي الزمخشري في الشرح على ذكر الأفعال المجردة كاهتمام أول ثم يقوم بعدها بذكر ما يتفرع عنها من أفعال مزيدة سواء المزيدة منها بحرف أو أكثر مرتبة تارة نحو ما جاء في شرح معنى المواد خلب: خلبه بمنطقه خلابة، واختلبه اختلابا. وامرأة خلابة وخبوب. وفلانة قلبت قلبي وخببت خلبي؛ وهو حجاب الكبد. وهو خلب نساء³⁸، وفي خلق: خلق الخراز الأديم، والخياط الثوب: قدره قبل القطع، واخلق لي هذا الثوب. وصخرة خلقاء: ملساء، وخلق الثوب خلوقة، واخلولق، وأخلق وأخلقن الثوب: لبسته حتى بلي...³⁹ فرض: فرض الله الصلاة وافترضها. وحقك فرض ومفروض ومفترض. وفرض الله الفرائض، ومالك لا تؤدون فرائض إيلكم؟ وهي حقوق الزكاة وغير مرتبة تارة أخرى مما يتعب القارئ ويشتت ذهنه فإن ابتغى البحث عن معنى فعل محدد فيتوجب عليه قراءة كامل الشرح الذي جعله الزمخشري لتلك المادة مثلما هو الشأن في الكثير من المواد نحو قوله في معنى مادة لقن: لقنته الشيء فلقنه وتلقنه، وهو لقن حسن اللقانة⁴⁰. وقال في شرح معنى مادة مول اللغوي: موله الله فتمول واستمال، ويمول..ورجل مال نال: متمول معط...وخرج إلى ماله: إلى ضياعه أو إبله⁴¹، وناضلته فنضلته، وخرجوا إلى النضال، وهم يتناضلون. وانتضلت من الكنانة سهما: اخترته⁴².

³⁶ أساس البلاغة، مادة سيل.

³⁷ أساس البلاغة، مادة ظلل.

³⁸ المرجع نفسه، مادة خلب.

³⁹ المرجع نفسه، مادة خلق.

⁴⁰ المرجع نفسه، مادة لقن.

⁴¹ المرجع نفسه، مادة مول.

⁴² المرجع نفسه، مادة نضل.

وتارة أخرى يستبق الذكر بالأفعال المزيدة ثم يأتي على ذكر الفعل المجرد وأحيانا أخرى لا يأتي على ذكره بالمرّة، كما لم يفت الزمخشري التطرق أثناء ذلك لمسألة تعدي الفعل ولزومه إلا أنه لا يعبر عن ذلك بصريح العبارة وإنما لما يقدم الأفعال موزعة في تراكيب تشير إلى تعديه أو لزومه كما هو مبين في كثير من الشروح نحو ما ساقه في معنى مادة أجم: أجم النار فتأججت وأجت وللنار أجم واشتدت أجة المصيف. وتقول: هجير أجاج...⁴³، و: شت الشعب شتاتا. وشتتهم الله تعالى فتشتتوا. وفرقهم البين المشت فتفرقوا شتى وأشتاتا...⁴⁴. كما اتخذ الزمخشري الوسيلة نفسها في بيان مسألة تعدي الفعل ولزومه في شرح معنى مادة منع ومعنى العديد من المواد إذ يقول: منعه الشيء ومنعه منه وعنه وهو ممنوع ومناع، وامتنع منه، ومانعه، وتمانعا⁴⁵. و: ظهر النبت والنبات في الأرض، ونبت البقل نباتا، وأنبته الله ونبته، ونبت الناس الشجر: غرسوه، ونبتوا الحب: حرثوه⁴⁶

*ضبط الفعل بالوزن أو المثال:

لا يهتم الزمخشري كثيرا أثناء شرح المعنى اللغوي للمواد بتقديم الوزن أو المثال من الأفعال التي ساقها كما أنه لا يعير أهمية لتحديد عين الفعل بالمثال إلا في بعض الحالات نحو ما جاء في شرح مادة أجم: ...وليس أجم هذا فاعل ولكن أفعال، وفي مادة بخق: بخق عينه مثل بخصها، وفي مادة جدل: ...والوزن فنحلة من الجدل، وفي شرح مادة شأف، طبب: ...وقد طب يطب، مثل: لب يلب، مادة ظلع، لقي، لمس، مقل، نأد، وصر: أقطعه أرضا وكتب له الوصر والوصرة: الصك، بوزن جربة وشربة... وغيرها من الأمثلة. أما عن الحركات التي تظهر على الأفعال لا ندري إن كان الزمخشري واضعها أم الناشر.

الملاحظ فيما سقناه من أمثلة أن الزمخشري لم يتبع منهجية واضحة مطردة أخذ بها من بداية المعجم حتى نهايته في شرحه للمواد لغويا من قبيل اعتناؤه بما يدخل في

⁴³ المرجع نفسه، مادة أجم.

⁴⁴ المرجع نفسه، مادة شنت.

⁴⁵ المرجع نفسه، مادة منع.

⁴⁶ المرجع نفسه، مادة نبت.

الصرف فبدا وكأنه مزاجي في اختياراته أو قد يرجع ذلك لأسباب لم يفصح عنها الزمخشري، وما قيل عن شرح مواد أساس البلاغة التي استشهدنا بها يقال عن الكثير من المواد التي لم نأت على ذكرها لأن المقام لا يستدعي منا ذلك من حيث استهلال الزمخشري في شرح معناها اللغوي بأفعال مجردة فالمزيدة نحو: مادة ترك: تركه ترك ظبي ظله. وترك فلان مالا وعيالا. وأخرجوا الثلث من تركته. وتاركه البيع وغيره، وتشاركوا الأمر فيما بينهم. وقال فيه فما اترك...⁴⁷ ، ويأتي في شرح معنى مادة حقد ب: حقد البعير حفدا، وحفودا، وحفدانا: أسرع في سيره ودارك الخطو؛ قال حميد بن ثور:

فدته المطايا الحافدات وقطعت نعالا له دون الإكام جلودا⁴⁸

ونحوه فيما ساقه في بيان معنى مادة خضل إذ يقول: خضل الشيء: ندي ختي ترشرش نداء، فهو خضل، واخضل فهو مخضل، وأخضله وخضله: نداء. وأخضلتنا السماء. واخضلت لحيته بالدموع. وسان خضل: ند من الدم...⁴⁹ ، وزئمت الناقة الولد أو البو رأما ورئمانا، وناقة رائمة ورئم ورؤوم، ونوق روائم. وأما لناقتكم رأم أي شيء ترأمه من بو أو ولد ناقة أخرى. وأرأما الناقة ولدها: عطفناها عليه. وترأمت عليه: أرزمت وحننت. وكأنها رئم، وكأنهن آرام الصريم⁵⁰ ، وفي معنى مادة زنق نجده قد شرح معناها اللغوي على النحو التالي: زنق الفرس الجموح إذا جعل حلقه في جلدة تحت الحنك الأسفل، فيها حبل يشد في رأسه وهو الزناق، وجاء يقوده بالزناق. وزنقه: شكله في القوائم الأربع بزناقه: بشكاله⁵¹ ، سطح، شبر، طرق، ظنن، عبأ، غطس، فدي، قبر، كتب، لبث، محق، نذب، وأد وغيرها⁵² .

ولكن هذا لا يمنع أن نجد في أساس البلاغة مواد لم يأت المؤلف في شرح معناها بالفعل المجرد منها وإنما مضى مباشرة إلى ذكر الفعل المزيدة منها نحو ما جاء في: ترع: أترع الكأس: ملاءها، وجفان مترعات، وكوز ترع، وصف بالمصدر: من ترع الإناء

⁴⁷ أساس البلاغة، مادة ترك.

⁴⁸ أساس البلاغة، مادة حقد.

⁴⁹ المرجع نفسه، مادة خضل.

⁵⁰ المرجع نفسه، مادة رأم.

⁵¹ المرجع نفسه، مادة زنق.

⁵² ينظر أساس البلاغة.

ترعا. وسد الترعة، وهي مفتح الماء إلى الحوض أو إلى الأرض أو إلى الجدول من النهر. وتسرع إلينا بالشر وتترع⁵³. وفي مادة خضض: يقال للعاطل: ما عليها خضاض وخضض: وهو خرز للإماء أبيض؛ قال:

ولو أشرفت من كفة الستر عاطلا لقلت غزال ما عليه خضاض

وما في الدواة خضاض: شيء من مداد. وخضض الخنجر في بطنه. وخضض السويق. والخضضة خير من الزنا.

تقديم الأفعال المجردة على المزيدة:

صحيح أن الزمخشري لم يسر وفق منهجية واضحة أثناء التقديم للمعنى اللغوي للمواد إلا أننا كثيرا ما استوقفنا في مسيرة استقراءنا لمواد المعجم وتحليل الشرح الذي خصها بها مظاهر تكشف عن فطنة الزمخشري وخصوبة فكره باحتكامه للمنطق في محطات عدة وهو يقدم المعنى للقارئ ويعلم حدود معالم الدلالة، واستشفنا ذلك من طريقة إيراده للأفعال التي يأتي بها مرتبة في أحيان عدة إذ يقدم الأفعال المجردة من حروف الزيادة الدالة على الأشياء المحسوسة ويؤخر المزيدة الدالة على كل ما هو غير محسوس أو تلك التي تدرك بإعمال الفكر لا الحواس مثلما هو الشأن في النوع الأول، ونعلل هذا النهج في الترتيب إلى طبيعة تكوين الزمخشري العقائدية بعمله بمبادئ المعتزلة الداعية إلى الاحتكام للعقل في التفسير، وتفسير معنى الآيات عند الزمخشري مثل تفسير معنى الكلمات، ومن الأمثلة على هذا الأسلوب في الشرح ما جاء به في معرض شرح المعنى اللغوي لمادة أبر إذ يشرح المعنى قائلا: ، بدأ ، ضرس كشف، ملل، وكل.

٢- المصادر:

من الأمور التي لا بد على المعجمي الحرص على ذكرها والتعقيب عليها في معجمه اللغوي بعد ذكره للأفعال: ذكره للمصادر منها، إلا أن الظاهر في أساس البلاغة هو أن الزمخشري ليس بحريص لا على ذكرها جميعها ولا على الإتيان بها بعد الأفعال كما هو متواتر وروده في المعاجم بغض النظر عن المسألة الخلافية بين البصريين والكوفيين في

⁵³ ينظر أساس البلاغة.ص.62.

أيهما أصل الاشتقاق الفعل أم المصدر، تلك ظاهرة انفرد بها أساس البلاغة من بين باقي المعاجم الموضوعية في اللغة ورأينا أنه من الضروري التسطير عليها من باب توخي الموضوعية في الدراسة سيما ونحن تقصدنا من هذا البحث الكشف عن أسلوب الزمخشري الخاص في شرح مواد معجمه أو طريقته الخاصة في تحديد المعنى اللغوي وتمييزه عن المعنى الآخر مركزين على كل ما هو بارز من بيان مميزاته (الشرح) فألفيناه يتراوح في شرحه في عموم ما ذكره للمصادر بين:

أولاً: مقص لها مثلما هو الشأن في البعض من الشروح نحو شرحه لمادة أبه: لا يؤبه له، وما أبهت له. وما عليه أبهة الملك أي بهجته وعظمته. وفلان يتأبه علينا أي يتعظم. وتأبه عن كذا: تنزه وتعظم⁵⁴. كما شرح مادة غزو: مر غزي بن فلان وعديهم وهم الذين يعدون على أرجلهم، ولم تزل بنو فلان حجيجا غزيا أي حجاجا غزاة. وتقول: رأيت غزا غزى. وقد أغزى الأمير الجيش. وأغزت فلانة وأغابت: غزا زوجها وغاب، وامرأة مغزية ومغبية. وتقول: هو بالمخازي أشهر منه بالمغازي⁵⁵، والأمر نفسه لما شرح مادة فتح على النحو التالي: جاء يستفتح الباب. وفلان لا تفتح العين على مثله. وتقول: فناء الله فسح وباب الله فتح⁵⁶، كما لا نجد الزمخشري قد ذكر المصادر في شرح مادة: آدم، بهظ، توج، ثوب، جرف حير، فقص، فتك وغيرها من المواد التي يجدها القارئ ماثلة في ثانياً أساس البلاغة.

ثانياً، بين ذاكر لها في المعظم منها دون أن يتكلف في ذلك ذكر المصدر من كل فعل كان قد ساقه في الشرح إلا أنه عادة يأتي بالمصدر من الفعل المنحدر من المادة الأساس متقيد بذكره مباشرة عقب الفعل في الكثير من المواد نحو شرحه لمادة جدد ب: جده حقه وبحقه جحدا وجحودا. وما أنت إلا جاحد جدد أي قليل الخير، وفيك جدد وجدد كعدم وعدم، وقد جدد فلان وأجدد؛ قال الفرزدق:

لبيضاء من أهل المدينة لم تذق بيبيسا ولم تتبع حمولة مجد

54 أساس البلاغة.ص.10.

55 المرجع نفسه.ص.450.

56 أساس البلاغة.ص.461.

وقلة الخير على معنيين: الشح والفقر. ويقال: قد جدد عامنا، وعام جدد⁵⁷. كذلك في مادة خطأ: أخطأ في المسألة وفي الرأي. وخطئ خطأ عظيماً إذا تعدد الذنب...⁵⁸ كما جاء بالمصدر مباشرة بعد الفعل في شرح مادة خساً، خفت، خضع، خطب، خطو، دم، دوم: دام الشيء دوما ودواما...⁵⁹ وفي مادة ذمم، رتع، رجم، رسم، سخط، صفح، طلع، قصل، كفي، وجه وغيرها من المواد.

وعلى العموم فالزمخشري في أساس البلاغة اهتم بذكر المصدر لكن ليس من كل الأفعال وحرص على الإتيان به لكن ليس عقب كل فعل فهو متقلب بين اتخاذ ترتيب داخلي للكلمات والعزوف عنه، وقد يرجع سبب إهمال الزمخشري لذكر ما أمكن من مصادر الأفعال إلى ميله للاختصار أولاً وإلى طبيعة معجمه الذي خصه لتراكيب اللغة التي تملح وتحسن ولا تتقبض عنها الألسن وهو ما قدمه في مقدمة الكتاب إلا أن ذلك لا يشفع له هذا التقصير في بيان جوانب اللفظ اللغوية باعتبارها من مقومات المعنى اللغوي الذي جعل يبينه في مستهل معنى كل مادة من مواد المعجم أو ما يجب أن يصطلح عليه بالمعنى الحقيقي للمواد.

٣- الصفة المشبهة:

اهتم الزمخشري كذلك في أساس البلاغة بذكر الصفة المشبهة في عدد لا بأس به من الشروح ولكن ليس في جميعها كما كان منتظراً ومتوقفاً من ضرورة الإحاطة بهذا النوع في كل مرة وعند التطرق لشرح معنى جميع المواد لغوياً، فالغاية من تأليف أي معجم لغوي هو الوقوف فيه عند جوانب الدراسة اللغوية القائمة على كل ما له علاقة بجانب الصرف باعتباره أحد ركائز الدراسة اللغوية لأية لغة، فوجدنا الزمخشري كثيراً ما حرص على الإتيان بها دالة على المذكر وأخرى دالة منها على المؤنث ولكنه لم يكلف نفسه الإشارة عليها بعبارة صريحة في أغلب المرات بأنها صفة وإنما ترك ذلك كما جرت عليه العادة للقارئ يدركه من اجتهاده الخاص مكتفياً بالإتيان بها (الصفة المشبهة) في تراكيب تبين لمن له في اللغة درجة من العلم بقواعدها وأصولها بأنها صفة نحو ما ساقه

⁵⁷ المرجع نفسه، ص. 83.

⁵⁸ المرجع نفسه، ص. 126.

⁵⁹ المرجع نفسه، ص. 199.

في شرحه لمادة أول: وتقول جمل أول وناقاة أولة إذا تقدما الإبل.بيد: ودجاجة بيوض ودجاج بيض وغراب بئض، وفي كثير من المواد نحو ما ساقه في شرحه لمادة بيض، ثرم، جبن، حير، خبأ، درد، ذفر، رخم، سجو...إلى غير ذلك من الأمثلة التي لا يستوجب المقام الإحاطة بها جميعها.

• بيان المفرد والجمع:

بعد الإطلاع على جميع شروح الأساس ونحن نبحت عن مدى اهتمام الزمخشري ببيان الصفة الصرفية للكلمات التي ورد ذكرها في المتن لنجده قد قلل من ذكر الصيغ الدالة على المفرد وحتى تلك الدالة على المثني، إلا أننا وجدناه يسوق في شروح المعنى اللغوي لمواد أساس البلاغة في مناسبات عدة تلك الدالة على الجمع، وذلك بطريقتين:الأولى أن يمر مباشرة إلى ذكر الاسم دون التعقيب عليه صراحة من كونه جمعا وإنما يترك ذلك للقارئ يدركه من نفسه لأن الزمخشري أحيانا يشير إلى ذلك بشكل غير مباشر كالإتيان بالمفرد من الاسم أولا بعدها يأتي بالجمع نحو ما نذكره من شرحه لمادة حبس، خدد، خطط، إلى غير ذلك.

والطريقة الثانية تكون بالإشارة الصريحة من الزمخشري على أن الاسم الذي سيلي بصفة الجمع بتعبيره عنه ب: جمعه، مع العلم أن الزمخشري لا يفعل ذلك مع كل اسم يأتي على ذكره وإنما مع البعض منها فحسب والذي يكون عموما في كل شرح مرة أي أن الزمخشري لا يحرص على بيان الجمع من كل اسم أورده وإنما اختصر في ذلك إلى حد المبالغة وكأنه يختار من كل طائفة ذكر اسم واحد دال على الجمع نحو ما قرأنا في شرح معنى مادة أشر، بذخ، برص، برن، ثفرق، جرض، جسد، حتف، حرو، ربع وغيرها كثير في أساس البلاغة.

• بيان النسب إلى الاسم:

أشار الزمخشري في ثنايا المعجم وفي الشرح اللغوي للمواد بالتحديد إلى قضية نسبة الاسم نحو ما كان في شرح معنى مادة مادة: عدن، شبيب، ظفر، ميس.

• بيان جنس الكلمة من حيث التذكير والتأنيث:

ونحن في استقراء وتحليل للمعنى اللغوي في معجم أساس البلاغة من سبيل البحث في خصائص ومميزات التعريف لدى الزمخشري وواقفين عند أهم المعالم التي تبرز وتكرر إلى حد ما في أغلب الشروح لنجد المؤلف قد أشار في مواضع من الأساس وفي الشق الذي اعتبره معنى لغويا إلى جنس الكلمات من حيث التذكير والتأنيث، وهو أمر لم يحرص عليه في كامل المعجم ولم يكلف نفسه تقديمه عقب كل المشتقات، لكنها ظاهرة يمكن أن نصنفها في خانة النقاط التي اهتم الزمخشري بذكرها وهو في مقام تقديم معنى المواد لغويا، أما عن منهجيته في ذلك فكانت دون تصريح منه على أن ما ساقه كلمة تفيد التذكير أو التأنيث تاركا القارئ يتوصل إلى ذلك بمعرفته الخاصة بالرغم أننا نقرأ في بعض الشروح إشارة الزمخشري لفظا على أن الكلمة تُحمل على التذكير أو التأنيث.

ومن الأمثلة على هذا المنحى في الشرح في المعجم ما كان في شرح معنى مواد كثيرة نحو ما ساقه الزمخشري في شرح المعنى اللغوي لمادة بزخ، بضع، طهو، شبع، ضرر، عبر.

(3) الدلالة في أساس البلاغة:

تظهر الدلالة في أساس البلاغة في جوانب عدة فباعتباره معجما فإن الغاية الرئيسة منه هي تقديم معنى كلمات اللغة وتقديم المقصود من تراكيبها، تظهر حينما يكشف عن صفات الكلمة الصرفية وحين يقدمها في تركيب لغوي يبين رتبها النحوية إضافة إلى تقديم المعنى الذي تحيل إليها الكلمة في الأذهان، فلكل كلمة في اللغة معنى ومقابل دلالي وخاص بذلك التركيب والتعاقب الصوتي وآخر تكتسبه بسبب الاستعمال وتفرضه أحيانا عوامل الحياة بكل ما طرأ عليها من تغير وتطور أو حتى انحطاط، فما اللغة في الحقيقة سوى مرآة عاكسة لأنفس الناس وواقع معيشتهم لذا فمن البديهي أن يهتم الزمخشري بهذا العنصر من عناصر الدراسة اللغوية وهو تعقب معنى الكلمات والتراكيب التي تدخل فيها وهو أمر نشد منه الزمخشري الجدة والتميز في محطات عدة استشفنا

معالمه من طريقة المؤلف المميزة والمختلفة إلى حد ما في تقديم المعنى اللغوي والتعريف به للقارئ ما جعلنا نقف عندها ونقدمها فيما اصطالحنا عليه بـ:

4) النحو في أساس البلاغة:

قصدنا من هذا العنصر تتبع إشارات الزمخشري في أساس البلاغة وهو يقدم المعنى اللغوي للكلمات على مسائل تصب في صلب الدراسة النحوية ف « كثير من اللغويين يعتقدون صلة، بين دراسة النحو، وبين المعنى، ويجعلون دراسة اللغة في النحو وتبين كيفية تأدية اللغة وظيفتها»⁶⁰ نحو التطرق لمسألة التعدي واللزوم، الاسناد، وهذا لأنه وقعت أيدينا في أساس البلاغة على نقاط تكشف عن اهتمام الزمخشري بـالنحو في المعجم وهو المهتم بالكلمة في العبارة وفي النظم الخاص الذي ترد فيه، ويظهر ذلك أولاً حين يورد الكلمة المشتقة من المادة المدخل في عبارة لغوية تظهر رتبته بالنسبة لبقية عناصر الجملة من كونها اسماً، فعلاً، حرفاً، أو مبتدأً، خبراً، مفعولاً به، صفة...، إذ نجد الزمخشري يبين تعدي الفعل ولزومه ليس من تعبير الخاص وإنما حينما يوردها في عبارة تبرز لزوم الفعل أو تعديه بغياب المفعول به في الأولى وحضوره في الثانية نحو ما كان في معنى العديد من المواد «ومما لا شك فيه، أن المعجم لا يستغني عن النحو، فهو يعرض الصيغ في صور نحوية، عادة، الاسم مع أداة التعريف في العربية مثلاً، والفعل مع حروف المضارعة»⁶¹ وهي أمور أدركناها في المعجم وقرأناها في العبارات التي اهتم الزمخشري بذكرها سواء تلك جاءت بتعبيره الخاص أو تلك التي استقاها من كتب الأولين كلها توضح هذه العلاقات بين الكلمات.

⁶⁰ المرجع نفسه، ص13.

⁶¹ المرجع السابق، ص13.

استراتيجيات الزمخشري في شرح المعنى اللغوي:

عُرف عن الزمخشري ما كان منه من قوة في البديهة، حدة في الذكاء، تمكن كبير من علوم شتى كاللغة والتفسير والحديث والبلاغة والبيان وغيرها، فما كان منه إلا أن يخرج أساس البلاغة بهذه الصفة الفريدة والطريقة بكل خصائصه التي لا نجدها في باقي المعاجم والتي سيدركها القارئ إن هو اطلع على مضمون الشروح التي خصها لكل مدخل.

قد يتساءل مستغرب عن الغاية من تقديمنا لهذا المؤلف بهذه الطريقة وهو كتاب موضوع في خانة المعاجم اللغوية مهتم بشرح معاني الكلمات شأنه شأن كل تلك التي جعلت لإزالة الغموض والإبهام عن كلمات اللغة ومعانيها غاية وكذا السعي إلى الحفاظ على أكبر قدر ممكن منها من الضياع والزوال كما فعل الخليل في كتاب العين إلى آخر ما ألف من هذه الكتب التراثية وهو تاج العروس للزبيدي، لكن الوضع في هذا المقام ليس مماثلاً؛ ولسنا بقولنا هذا بصدد تقديم أحكام مجانية على هذا المؤلف دون مرجعية مادية ملموسة بقدر ما نسعى لتقديمه للقارئ بالصفة الواجب تقديمه بها والتعريف بمميزاته بين المعاجم كافة بالجديد الذي جاء به الزمخشري، ولسنا نتحدث عن منهجه في ترتيب المواد الذي كثر الحديث عنه واستفاض الكثير القول فيه فيما ألف في إطار الدراسات المعجمية للمعاجم العربية وإنما عينا بالجديد فيه ما يتعلق بوسائله وطريقته الخاصة في معالجة وتقديم المعنى اللغوي لمواد المعجم، إذ استطاع الزمخشري أن يجعل من أساس البلاغة معجماً صالحاً لكل الأزمان ويواكب كل التطورات التي تحصل في الحياة واللغة أيضاً باعتبارها كائناً حياً يعيش ويموت ينمو ويتطور وذلك لما جعل فيه أكثر العبارات بلاغة وأحسنها تأليفاً وأجودها معنى متجاوزاً بذلك ما كان في المعاجم من تتبع معاني الكلمات أياً كانت درجتها في الجمال الفني والحس البلاغي، وحين عمل على ترتيب معاني الكلمات ترتيباً ذكياً يكشف عما حصل فيه من تغير في المعنى وانزياح في الاستعمال، ومن هذه النقطة تبدأ مسيرتنا في البحث في استخلاص هذه المحطات التي تكشف عن خطوات الزمخشري في تحقيق هذه الجودة والتفرد والتنوع والاختلاف في شرح المعنى اللغوي لمواد أساس البلاغة، واقفين عند أهم النقاط التي توقف عندها الزمخشري

وركز فيها اهتمامه وحرص على ذكرها والتعقيب عليها والإشارة إلى النقاط التي تجاهل الزمخشري ذكرها وإحاطتها بالعناية في المعجم عند شرح معنى الكلمة في باب ما اعتبره معنا لغويا أو حقيقيا مستخلصين في النهاية مميزات المعنى اللغوي في أساس البلاغة، ومن أبرز الوسائل التي تبناها المؤلف في تكريس وتقديم النوع الأول من المعنى:

أ) التعريف الاسمي:

بما أننا في الحيز المخصص للمعنى اللغوي من أساس البلاغة فإننا بحثنا عن كل ما له علاقة بمقومات المعنى اللغوي فلاحظنا من الزمخشري وهو يشرح معنى الكلمات أنه قد سار في أساس البلاغة وبالتحديد عند تقديم المعنى اللغوي للكثير من الكلمات على طريقة تقديم الشرح على شكل جمل اسمية متخذا بذلك المنحى نفسه الذي سار عليه من سبقه إلى التأليف في المعاجم من عبارات تبتدئ بالاسم مثل ما ساقه في معرض شرح معنى مادة مأر: بينهم مئرة: عداوة؛ قال:

خليطان بينهما مئرة

بيبان في معطن ضيق

وفي قلوبهم مئر. ويقول في مادة وكع: أمة وكعاء. وفلان لا يفرق بين الوكع والكوع، والوكع في الرجل: ميل في صدر القدم مما يلي الخنصر أو الإبهام. والملاحظ في أساس البلاغة انتشار هذه الميزة في كامل المتن والسبب يعود إلى كثرة الاستعانة بالتركيب اللغوية البليغة في تقديم الألفاظ ومعانيها لذا ألفينا كذلك في المعجم إضافة إلى الجمل الاسمية ما يدخل في النوع الثاني من الجمل وهي الفعلية نحو ما كان في معنى مادة طيب، طير، مرر، مرح.

ب) التعريف الفعلي:

ونحن نرصد الجمل الاسمية استوقفنا عبارات في مواضع من الكتاب والزمخشري قد شرح المعنى اللغوي منه في مرات عدة مقدما إياه في جمل فعلية أي في عبارات تبتدئ بالفعل مثل ما كان الأمر في بيان معنى مادة حمر: ركب محمرا أي فرسا هجينا، وركبوا

محامر. ويقول في مادة سبي: سبيت النساء سبياً وسبأء، ووقع عليهن السبأء...وتلاقوا فتأسرو وتسابوا. سمعت بعضهم يقول: عكشتك بمعنى سبقتك، من قوله عليه السلام «سبقتك إليها عكاشة» وهو عكاشة ابن محصن الأنصاري سمي بالعكاشة وهي العنكبوت⁶².

تظهر الجمل الفعلية في متن أساس البلاغة إما في العبارات التي ساقها الزمخشري والتي تحوي المادة الأساس أو إحدى مشتقاتها كما نجدها كذلك والمؤلف في صدد التعريف بالمعنى المقصود من تلك العبارات نحو ما كان من قوله في مادة كظم: كظم البعير جرته: ازدردها وكف عن الاجترار، وياتت الإبل كظوما وكواظم. وحفروا كظامه وكظيمة وكظائم. وفي الحديث: «أتى كظامه قوم فتوضأ» وهي الفقير يحفر من بئر والسقاية والحوض؛ قال طرفة: يشرب من فضلة العقار كما استوجر ماء الكظيمة الشرب الملاحظ في كامل الشروح أن الزمخشري يفضل البدء بجمل فعلية وشرح المقصود منها بمثيلاتها وذلك لما للجمل الفعلية من حركة وحيوية في بيان المعنى عكس الجمل الاسمية التي تتسم بالقرار والثبوت في المعنى، والزمخشري قد اضطلع في كامل المعجم إلى بيان حركية اللفظ بوضعه في سياقات لغوية تحرره من قيود المعنى المعجمي الثابت.

١- الشرح بالتعريف:

«والمراد به تمثيل المعنى بواسطة ألفاظ أخرى أكثر وضوحاً وفهماً»⁶³، أي أن يقدم صانع المعجم معلومات عن معنى الكلمة مقدماً إياه في تعبير يسهل الاستمساك به مستعينا بألفاظ أكثر وضوحاً في المعنى وأكثر تداولاً بين الجماعة اللغوية قصد التسهيل على القارئ الفهم وهو أمر رصدناه في أساس البلاغة والزمخشري مقدم للمعنى اللغوي للكلمات، من الاستعانة بوسيلة شرح المعنى بالتعريف بأنواعه المختلفة منها:

⁶² أساس البلاغة، مادة عكش.

⁶³ حيدر جبار عيدان، المتن اللغوي في المعجم العربي القديم، دراسة في كيفية المعالجة، ص16.

• شرح المعنى بالمغايرة:

يقصد بشرح المعنى بالمغايرة أن « يشرح معنى الكلمة بأن تذكر أخرى تغايرها في المعنى فيتضح الضد بال ضد»⁶⁴، وهي وسيلة ألفينا الزمخشري اتخذها في شرح المعنى اللغوي لمواد أساس البلاغة لكن قليلا وفي مواضع محددة من المعجم بالمقارنة بالوسائل والاستراتيجيات الأخرى التي اعتمدها، وركز في ذلك على نوع معين من أنواعها المختلفة وهو: المغايرة التامة والذي يكون التعبير عنها « بألفاظ ثلاثة هي: نقيض، ضد، خلاف»⁶⁵.

وهي إستراتيجية كثيرا ما نجد مؤلفي المعاجم التراثية اتخذوها وسيلة لبيان معاني الكلمات التي قد لا يحسن توضيح معناها وإجلاله إلا بهذه الطريقة البسيطة من تقديم ضد الكلمة المشروحة في المعنى، أي أن أبرز وسيلة لتوضيح معنى كلمة يكون بالإتيان بضدها، نحو: الحسن نقيض القبح، العلم ضد الجهل، اليسر خلاف العسر.

لم يتخذ الزمخشري لتوضيح المعنى اللغوي لمواد المعجم هذه الوسيلة كثيرا -كما أشرنا إلى ذلك سلفا- إذ لم يستعن بها إلا نادرا جدا في شرحه لمعنى المواد والكلمات والسبب في ذلك يرجع إلى طبيعة المعجم أساسا، فهو لم يوضع لتحقيق غاية كلاسيكية من الكشف على معنى الكلمة وحسب دون الاكتراث في ذلك لنوع للوسيلة، وإنما الزمخشري أراد -كما بين ذلك في المقدمة- تقديم المعنى في تراكيب وسياقات تكشف عن معناها لذلك تجنب المغالاة في الاعتماد على هذا السبيل في الشرح لأنه يحد من المعاني التي يمكن أن تحملها الكلمة التي قد تتجاوز المعنى الواحد إضافة إلى ما تنتم به هذه الوسيلة من غموض وتشكيل هالة حول معنى الكلمة مما ينافي الغرض من تأليف المعجم أصلا، ونظرا لقلّة عدد هذه المواد فضلنا إحصاءها وتقديمها جميعا مرتبة مثلما ورد ذكرها في المعجم:

⁶⁴ المعجم اللغوية، ص.102.

⁶⁵ المرجع نفسه، ص.103.

أول مادة وجدنا الزمخشري يستعين بوسيلة المغايرة التامة في شرح معناها اللغوي والتي حددها في باب الألف في مادة أبد في قوله: وطيور أوابد **خلاف** القواطع⁶⁶.

جاءت هذه العبارة في أقصى شرح مادة أبد لما أراد توضيح معنى كلمة أوابد أتى بها في سياق لغوي ليعقب عليها بكلمة مغايرة لها في المعنى موضحا المقصود منها بغية تقريبه أكثر من ذهن الباحث و ذلك بلفظة **خلاف** بمعنى أن معنى كلمة أوابد في هذا السياق الخاص مختلف عن معنى القواطع.

كما نجد الزمخشري وفي سياق شرحه لمعنى مادة جوز اللغوي، قد شرح إحدى معاني مشتقات الكلمة الأساس **بنقيضها** في: ... نعوذ بالله من الجور ومن الحور بعد الكور. وقوم جارة وجورة. وجورت فلانا: **نقيض** عدلته⁶⁷. فالمؤلف إذا بهذا الصنيع أراد أن يوضح معنى إحدى مشتقات مادة جوز بوسيلة المغايرة التامة لكن هذه المرة بلفظة **نقيض**، وشرح معنى مادة حدم على النحو التالي: احتدم الحر، واحتدم النهار: اشتدَّ حره، وخرجت في نهار من القيظ محتدم. وسمعت حُدمة النار وهي صوت التهايبها. **وقدر حُدمة بوزن حُدمة: سريعة الغلي، وضدّها الصلود**⁶⁸.

فالزمخشري أراد بذلك أن يوضح معنى العبارة ككل باستخدام هذه المرة لفظة أخرى وهي **ضد**، ليكرر في المواد المتبقية الألفاظ نفسها: **خلاف**، **نقيض**، **ضد** في شرحه لمعنى الكلمات التالية مع العلم أن الزمخشري استعان بها في كل مادة مرة واحدة:

حمد: ... وأحمد الرجل: جاء بما يحمد عليه، **ضد** أذم⁶⁹. وشرح مادة سهل حين استعان في ذلك بلفظة ضد في الموضع التالي: وتساهل الأمر عليه: ضد تعاسر⁷⁰، كما جاء عند شرح معنى مادة شهد من باب الشين ب: وامرأة مُشهد: **خلاف** مغيبة⁷¹، و في باب

⁶⁶ جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة. دار بيروت للطباعة والنشر، 1965، ص.09.

⁶⁷ المرجع نفسه، ص.104.

⁶⁸ المرجع نفسه، ص.117.

⁶⁹ المرجع نفسه، ص.140.

⁷⁰ المرجع نفسه، ص.316.

⁷¹ المرجع نفسه، ص.342.

الفاء وباب الكاف استعان كذلك المؤلف بلفظة **نقيض** قصد تبيان المعنى في المادتين الأخيرتين اللتان أحصيناها وذلك في العبارات التالية:

وقد فركت زوجها فركا، نقيض: عشقته عشقا⁷²، وامرأة مكياس: نقيض محماق⁷³

يمكن أن نعتبر الزمخشري قد تقصد عدم الإكثار من هذه الوسيلة في تبيان معنى الكلمات لأنها تعرقل غايته أو تحد من إبداعه حين يشرح، كما يمكن أن يكون ما أحصيناه من المواد التي شرح معناها بالمغايرة قد جاء في المعجم عرضا لا دون قصد من الزمخشري الذي يسعى دائما إلى الإحالة على معنى المواد وهي في سياق لا معزولة عنه.

• الشرح بالمرادف:

سار الزمخشري أحيانا وهو يشرح المعنى اللغوي للكلمات المداخل والمشتقات المتفرعة عنها وفق تقاليد الشرح المعتمدة في المعاجم التي سبقت تأليف أساس البلاغة وذلك لما يأتي بمرادف الكلمة أو العبارة التي يبغى إزالة الغموض عن معناها وقد نوع من طبيعة الشرح الذي يقدمه فكان ينتقل بين كلمة أو أكثر من كلمة:

1- التفسير بكلمة واحدة:

يقصد بالتفسير بكلمة واحدة «أن توضع في تعريف الكلمة كلمة أخرى...نوعا من الاعتراف بأن الكلمتين مرادفتين»⁷⁴، بمعنى أن يأتي المعجمي في شرحه لمعنى المواد بكلمة واحدة معتبرا في ذلك معنى الكلمة أو حتى معنى العبارة -لأن الزمخشري اهتم بالعبارة أكثر من اهتمامه بالكلمة الواحدة- مرادفا للكلمة التي ساقها حتى وإن كانت مسألة الترادف فيها الكثير من الجدل وخص لها أهل اللغة صفحات عدة من مؤلفاتهم اللغوية نحو ما عرض له السيوطي في المزهري في حديثه عن الترادف حيث ذكر في هذا الشأن قول التاج السبكي في شرح المنهاج: «ذهب بعض الناس إلى إنكار المترادف في اللغة

⁷²المرجع السابق، ص472.

⁷³المرجع نفسه، ص554.

⁷⁴محمد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، 1966، ص107.

«⁷⁵، استعان الزمخشري كثيرا في أساس البلاغة بوسيلة التفسير بكلمة واحدة، فأحيانا يأخذ بها في الشرح الواحد مرات عدة مثلما هو الشأن في شرح معنى الكثير من مواد أساس البلاغة نحو قوله في مادة ثرر: سحابة ثرة: غزيرة...ورجل ثرثار: مهذار. زمم: زممت بعيري أزمه، وبعير مزموم، وزممت الجمال، وإبل مزمنة: مخطمة...وزم الزنبور يزم زميما: صوت. وفي مادة سبل: ...وسبيل سابل: مساوك...وأسبل الستر والإزار: أرسله وفي مادة طوح: طاح الشيء من يده: سقط...وطاح: هلك...وتطاوحت بهم النوى: ترامت ويفرق بين الكلمة أو العبارة وبين الشرح الذي يأتي على شكل كلمة واحدة إما بأداة مثل (أي) و (أو) وإما بنقطتين (|)

2-التفسير بأكثر من كلمة:

أشرنا فيما سبق أن الزمخشري شرح المعنى اللغوي لمواد معجمه بوسائل متنوعة منها التفسير بالمغايرة، التفسير بكلمة واحدة، والتفسير بأكثر من كلمة والذي يتميز عن التفسيرين الأولين من كون هذا الأخير لا يقوم على شرح المعنى «بكلمة مفردة إنما يكون بعبارة أطول»⁷⁶، وما قلناه عن الوسيطتين السابقتين يقال عن هذه الوسيلة في كون الزمخشري قد استعان بها في تقديم معنى الكلمة وتقريبه إلى ذهن القارئ وهو ما انتبهنا إليه في أغلب شروح مواد المعجم، كما وأنه أحيانا نجده في شرحه لمعنى كثير من مواد المعجم قد بين المعنى من بداية الشرح إلى نهايته بعبارات لا بكلمة واحدة للدلالة على أنها جميعا «ليست إلا ترجمة للفظ بألفاظ أخرى من اللغة نفسها»⁷⁷. وكثيرا ما كان الزمخشري يفصل بين الكلمة أو العبارة المراد شرح معناها بأدوات خاصة إضافة إلى النقط وهي (أي) مثلما جاء في مادة خطأ:...وتخطأت له بالمسألة وفي المسألة أي تصديت له طالبا لخطئه،وفي مادة قطو: « ليس قطا مثل قطي » أي ليس الأكبر كالأصاغر، و(إذا) نحو ما نجد في مادة نوب:...وأتاني فلان فما أتيت إليه إذا لم تحفل به وفي مادة رهن: وتراهننا إذا تواضعا الرهون.

⁷⁵ جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ص321.

⁷⁶ المعاجم اللغوية، ص.107.

⁷⁷ المرجع نفسه، ص.107.

كما نجد الزمخشري في كثير من المواضع حين يعتمد الشرح بالمرادف يقدم شرح الكلمة في عبارات تظهر فيها الكلمة نفسها أو إحدى مشتقاتها نحو ما قرأنا في مادة قصص.

3- اللجوء إلى السياق في بيان المعنى اللغوي:

عُرف معجم أساس البلاغة بين المعاجم الموضوعية في اللغة بالمعجم السياقي، ولم تأت هذه التسمية جزافاً، وإنما لما جعله الزمخشري فيه من العناية باللفظة وهي في السياق لا معزولة عنه، ونعني بالسياق هنا السياق اللغوي لا سياق المقام، ويقصد منه (السياق اللغوي) كما يعرفه محمد أحمد أبو الفرج «ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى»⁷⁸، فالسياق اللغوي إذن هو ذلك الكل من الكلمات أو بمعنى آخر كل ما يسبق ويلحق الكلمة وهو ما من شأنه أن يسهم في تحديد دلالتها، فبالرغم من أن المعنى اللغوي يبني على التركيز على اللفظة وما تحمله من معنى لكن الزمخشري أقصى المعنى الذي تحيله اللفظة الواحدة من اهتمامه في أغلب الأحيان بالمقابل فإنه التجأ إلى استراتيجية الاتيان باللفظة وهي في سياق معين مغيرا مسار مهمته من إزالة الابهام على اللفظة ومعناها إلى الاكتفاء بما يقدمه السياق وما يبرزه من معنى فقد حرص حرصا شديدا على تقديم الكلمة في تركيب لغوي من شأنه أن يبرز معناها وهو ما قرأناه في مقدمة الأساس وما لمسناه من تحليلنا للشروح من عدم اعتراف الزمخشري بالكلمة المفردة فهو لا يهتم بدلالة اللفظة المجردة من السياق بدليل أنه لا يقدم للمعنى الذي تحيل عنه الكلمة في اصطلاح التخاطب إلا قليلا، ولا يكتفي الزمخشري بتقديمها في سياق واحد وإنما في عدة سياقات لنتعدد معاني الكلمة الواحدة بتعدد واختلاف التركيب الذي ترد فيه في كل مرة ليفتح الأفق واسعا لخيال القارئ ويرفع الحواجز عن روحه حتى تسمو عن كل حدود للامساك بالمعنى المقصود من العبارة ككل فلا أهمية للكلمة مفردة عند الزمخشري وإنما أهميتها تبرز وتتحدد في إطار تركيب وهذا المبدأ قد استوحاه من آراء الجرجاني في **النظم** من الاحتكام للتركيب اللغوي الخاص الذي ترد فيه اللفظة لا في ورودها بمفردها. فقيمة الكلمة تبرز في التركيب لا وهي معزولة عنه أو قد تعود جذور فكرة السياق عند

⁷⁸ محمد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ص116.

الزمخشري إلى أبعد من هذا التاريخ إلى ما جاء في الأشباه والنظائر ل:مقاتل بن سليمان «والكتاب نفسه بمنهجه وطريقة تناوله للنص القرآني يكشف عن ذلك الإحساس بتعدد دلالات اللفظ الواحد تبعا لتعدد السياقات واختلافها»⁷⁹، ومما لا شك فيه أن مؤلف الأساس قد سار في هذه النقطة بالذات مسرى المعتزلة في تفسير معنى الآيات من الوقوف على السياق الذي ترد فيه الكلمة للوصول إلى بيان معنى الآية ككل، كما يمكن القول إن الزمخشري سار على هدي من سبقه في تأليف المعاجم من الاهتمام باستعمال اللفظ في السياق والدلالة الذي ينتجها تبعا لما اختاروه من نصوص ذكرت فيها الكلمة وهو ما سمح بتقديم فكرتين هامتين عن فن الكلام هما:

أثر الاستعمال في حياة الكلمة، وتعيين دلالتها، وتحديد معناها.

الوقوف على شيء من إحياء الكلمة في النفس.

وقد تعددت أنواع السياقات التي اعتمدها الزمخشري واستند إلى ما تفيده من معنى في المعجم والتي تفرقت بين:

* عبارات مسجوعة وذات حظ من البلاغة:

المطلع على أساس البلاغة سيلحظ العدد الذي لا يستهان به من العبارات التي تتخلل الشرح اللغوي لمواد المعجم، وهي عبارات ليست بعبارات الزمخشري الخاصة وإنما انتقاها بدقة مما سمعه من العرب الخالص وتخيرها بحذر مما اطع عليه من جواهر الكتب وقد يكون نقلها من مؤلفاته التي سبقت تأليف الأساس، فنجده تارة يسوق في المعنى اللغوي عبارة بليغة لاحتوائها على الكلمة التي هو بصدد تحديد معناها وكثيرا ما نجد الزمخشري ساقها في بدايات الشرح نحو قوله في مادة أيب: اطلب الأمر في إبانه وخذه بريانه، وقوله كذلك في مادة حرض: نُهك فلان مرضا حتى أصبح حرضا. وفي قوله: أنزل الله بهم رجزا حتى لا تسمع لهم ركزا أو قد يقدمها في وسط أو حتى في آخر الشرح، أو يقدمها كشرح لمعنى كلمة أو عبارة ساقها في الشرح لكنه أحيانا يردفها بعبارة خاصة به تبيين المقصود منها نحو ما نجده في شرح مادة صرخ: تقول: له عولة كعولة الثكلى

⁷⁹ نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير-دراسة في قضية المجاز عند المعتزلة، ص97.

وصرخة كصرخة الحبلى. وصرخ يصرخ صراخا وصریخا، وهو صارخ وصریخ⁸⁰. وقوله: كانوا حكاما فياصل يحزون في الحكم المفاصل؛ جمع فيصل وهو الفاصل بين الحق والباطل. وهذا الأمر فيصل أي مقطع الخصومات. ، وتارة أخرى يأتي بالعبارات البليغة لكن لا يعقب على معناها وإنما يترك القارئ يدركه من نفسه فاتحا أمامه أفق التخيل واستنطاق المعنى مثلما هو الحال في قوله:الفاسق من ابتأر والفويسق من ابتهر⁸¹، أوسعه سبا وأسمعه تبا. وتبب القوم: دعا عليهم بالتب⁸² وكان تمام الغاية عند الزمخشري في تقديم ما أمكن من العبارات التي تحسن وتملح ولا تنقبض عنها الألسن. علاوة على ذلك فإن صاحب الأساس قد أهمل تماما ذكر «أسماء من تنسب إليهم العبارات الرائعة والأساليب البلاغية التي ضرب بها الأمثلة في معجمه وهذا قد فوت غرضا مهما إذ كان يمكن عن طريق ذكر أصحاب هذه النصوص أن تُعرف العصور التاريخية التي قيلت فيها»⁸³، فهو لم يهتم بقائل العبارة بقدر ما اهتم بالعبارة نفسها فلم يجد بدا من البحث عن قائلها والاستدراك عليه ولو كان فعل ذلك لزداد على قيمة أساس البلاغة قيمة أخرى من تقديم التاريخ اللغوي لألفاظ اللغة العربية مما كان سيسهم إسهاما ملفتا للانتباه في تأليف ما يعرف بالمعجم التاريخي للغة العربية.

*أبيات من الشعر:

الشعر في أساس البلاغة كثير، والزمخشري يسوقه في معارض شرح المعنى اللغوي لمواده سائرا في الطريق نفسها التي سار فيها من سبقه إلى مجال التأليف في المعاجم فنجده أحيانا يقدم شرحا لمعنى كلمة معينة بتعبيره الخاص وليستدل على صحة ما جاء به يستشهد بشطر أو ببيت أو أحيانا بأبيات من الشعر تظهر فيه الكلمة التي كان قد ساقها في الشرح أو قدم معناها فيعقب من بعدُ على ذلك بشرح عام لمعنى البيت كاملا

⁸⁰ أساس البلاغة، مادة صرخ.

⁸¹ أساس البلاغة، مادة بأر.

⁸² المرجع نفسه، مادة تبب.

⁸³ عبد الغفار حامد هلال، مناهج البحث في اللغة والمعجم، ط1، 1991.

وأحيانا يبين فقط معنى الكلمة التي جاء ذكرها في البيت وأحيانا أخرى لا يشرح المقصود في الشعر الذي ساقه بالمرّة، أما عن مسألة الأمانة في النقل فإنّ الزمخشري لم يسر وفق منهجية واضحة ومنتظمة إذ نجده يشير إلى صاحب وقائل الأبيات كثيرا ويغفل عن ذلك أحيانا، وبخصوص مصادره فكانت متنوعة بشكل بارز وملفت للانتباه إذ استشهد بأبيات من الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي ولم يعترف بقاعدة عصر الاحتجاج وإنما سعى فقط لتحقيق قاعدته من تأليف المعجم بإغنائه بكل ما من شأنه أن يدعم في بناء صرح وجهة نظره في تقديم أساس البلاغة العربية لذا فإنه اهتم بجودة وبلاغة القريض لا بقائلها ومن أي عصر هو لذا نجد في ثنايا الشروح أبيات لشعراء غريبة أسماؤهم وغير معروفين. كما نجد الزمخشري قد نثر بعضا من أبياته الخاصة في مواضع من المعجم نحو ما ساقه في شرح معنى بعض المواد.

*الأمثال:

«أمثال العرب كثيرة في الأساس: بعضها منبه عليه، والآخر غير منبه عليه مثلها مثل الأحاديث... لأنه لا يريد التعريف بحقيقتها، وإنما يريد كونها من العبارات الفصيحة فحسب»⁸⁴ لأنّ الزمخشري أراد من ذلك تحقيق غايتين في الآن ذاته حين استعان بها لتوضيح معنى الكلمات وتقريبه إلى الأذهان حين يأتي بها ضامة للكلمة التي بين معناها أو لإحدى مشتقاتها أولا نحو ما نجده حين شرح معنى مادة حطب، إضافة إلى رغبة الزمخشري في تقديم مادة ثرية من العبارات التي من شأنها أن تساعد القارئ على إثراء رصيده اللغوي والبلاغي إن هو أحاط بها واستمسك بأصول القول فيها لما يعرف عن الأمثال من حسن التأليف فيها وجودة المعاني التي تستوعب منها.

*الاستعانة بالآيات القرآنية:

كثيرة هي النصوص القرآنية التي تواترت في شروح مواد أساس البلاغة، استعان بها الزمخشري في توضيح معنى الكلمات وإجلاء المقصود من العبارات، وهذا الأمر شائع عند المؤلفين العرب من الاستشهاد بالآيات القرآنية لكونه أعجز النصوص وأبلغ الأساليب

⁸⁴ حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ص563.

لذا فقد امتاز كل ما ألف في عصر الإسلام وما بعده بالرجوع إلى النص الديني فلا نص يقف في مواجهة النص القرآني في حسن التوليف وبلاغة التعبير وفنية في التصوير، فكيف يغض الزمخشري الطرف عن هذه الحجة التي لا تضاهيها حجة إن في جودة العبارة أو في كمال المعنى خاصة وأنه قد ألف معجمه لخدمة غرض ديني في الدرجة الأولى من كشف أسرار البلاغة في القرآن وتقديم دلائل الإعجاز من نصوصه لذا ألفينا صاحب الأساس قد ساق آيات قرآنية في معرض توضيح معنى كلمة أو تقديم ما قد تدل عليه في سياق خاص كالذي جاءت على نحوه في مادة أرض:... وهو أفسد من الأرضة، وخشية مأروضة، وقد أرضت أرضا « دابة الأرض تأكل منسأته »⁸⁵ ،...وقعد شامة: يسرة. والشأم عن مشامة القبلة و « هم أصحاب المشامة »⁸⁶ أو قد يسوق آية قرآنية لمنح شرعية لمعنى الكلمة الذي ذكره نحو ما ساقه في شرح المعنى اللغوي لكلمة قيص قائلاً: « وآتوا حقه يوم حصاده ».

*السياق الاجتماعي:

أو ما يعرف بسياق الحال في الدراسات اللغوية الحديثة وهو الذي يحتكم إلى كل الظروف والملابسات التي تصاحب الحدث الكلامي أو القول أو العبارة، إذ للوصول إلى معنى كلمة، أو المقصود من عبارة لا بد من الإحاطة بكل الظروف التي قيلت فيه تلك الكلمة أو العبارة، بمعنى آخر الوقوف على ما أفادته العبارة في ذلك السياق الخاص الملم بزمان ومكان(البيئة التي قيل فيه الكلام) والشخصيات الحاضرة إضافة إلى الحدث الكلامي كل هذه العناصر مجتمعة تقدم معنى العبارة التي قد تتغير دلالتها إن هي قيلت في ظروف مغايرة فتفيد بذلك معنى مغايراً ، ويظهر السياق الاجتماعي في أساس البلاغة أولاً:

*البيئة الصحراوية:

تظهر معالم الصحراء في أساس البلاغة في تلك الألفاظ الدالة على بيئة صحراوية عربية، إذ تقصد الزمخشري جمع وتدوين كل ما له علاقة بالبيئة العربية وعناصر البداوة

⁸⁵ أساس البلاغة، مادة أرض.

⁸⁶ المرجع نفسه، مادة شأم.

التي تُمجدُ الشخصية العربية آخذاً القارئ وماضيا معه في رحلة زمنية تعيده إلى فترات أمجاد العربية حين ازدهر فن الشعر والنثر فيها على السواء وتسبق كل ذي قريحة في واحد منهما أو كلاهما إلى المفاخرة بما تجيده نفسه وينطقه لسانه.

امتازت اشعار تلك الحقب بالتعبير عما يخالج نفس الشاعر بألفاظ خاصة كالبادية والفيافي، الرمال وكلها أمور نقرأها في العبارات التي ساقها الزمخشري أشعارا كانت أو أمثال أو تراكيب بليغة.

*الفترة الزمانية:

كما استطاع الزمخشري في كل تلك الشروح التي جمعها ودونها بحذر أن يقدم للقارئ معلومات دلالية تعاقبت على اللفظة الواحدة بتأثير عامل الزمن الذي قد يرفع أو يحط أو يغير تماما من معناها لتدل على معنى مغاير تماما لما كانت تحيل عنه في اصطلاح التخاطب، فالزمخشري قدم المعاني التي كانت قد أفادتها الكلمة الواحدة في فترات زمنية مختلفة.

4- الاستشهاد بغيره وبنفسه أثناء الشرح:

حافظ الزمخشري في أساس البلاغة من البداية حتى النهاية على الغاية التي ينشدها أي صانع للمعجم من الاجتهاد في الكشف عن دلالة الألفاظ والعبارات التي جمعها ودونها في مؤلفه، والمطلع على باقي ما ألف في هذا المجال سيجد مؤلف الأساس قد سار على هدي من سبقه في طريقة تقديم المعلومات عن المواد المعجمية إذ نجد الزمخشري بين آخذ من غيره وبين معتمد على قدراته في الشرح، ونرجع سبب اعتماده على الطريقة الأولى إلى اتساع اللغة التي لا قدرة لأحد الإحاطة بها إلا نبي، وهو ما دفع بالزمخشري إلى الأخذ والإفادة من غيره إذ استعان في تقديم معنى الكلمات والعبارات التي ساقها بأقوال وشروح غيره لغويا كان أو معجميا لا يفرق بين أحد منهما إلا حين يذكر الأسماء، هذا إن دل على شيء فإنه يدل أولا على إطلاع الزمخشري الواسع على المؤلفات التي تسبق تأليف الأساس وإفادته منها دون تحرج منه بسبب ذلك بل على العكس تماما إذ يشير على ذلك بصريح العبارة والقول بأن يقدم أولا صاحب العبارة أو

الشرح، وثانياً إن هذا الاستشهاد الذي كان من الزمخشري بغيره في توضيح المعنى وتقريبه إلى الأذهان كان رغبة منه أن يكون معجمه مصباً تُرأب فيه شعاب كل ما كتب عن هذه اللغة وهو ما بينه في مقدمة الكتاب والزمخشري لا يستشهد بمن كان وإنما تقصد أن يكون ذلك بأبرز الأعلام والأئمة في ذلك المجال إذ أكثر من الرجوع إلى أقوال الجاحظ والكسائي بشكل خاص لما عرفا به من ببراعة وسداد في تقديم الآراء وتحليل للمسائل، ومن أمثلة هذه المواضيع في أساس البلاغة أين علم على هذه الاستشهادات ما نجده في شرح مادة ثقف، جيب، حجر، حفق، رزب، زرف، زكن، زني، سرع، سراً، قور، إلى آخره من الأمثلة التي اتخذها الزمخشري من غيره حجة في تقديم معنى البعض من مواد الأساس.

أما عن صبغة الزمخشري الخاصة في أساس البلاغة فإننا نجد لها أثراً إما في عبارات الزمخشري الخاصة والتي تظهر حينما يعقب على معنى من معاني الكلمات أو عند التنويه إلى ما تفيد الأبيات الشعرية أو العبارات البليغة التي تتخلل كل شرح وإما فيما ساقه المؤلف من أبيات شعرية خاصة به، إذ كثيراً ما كان الزمخشري يستشهد بأشعاره في معرض بيان معنى الكلمات من الأساس فهو لغوي ومفسر وشاعر، ومن الأمثلة على ذلك من أساس البلاغة ما ساقه في معنى مادة فقر.

مبادلات المعنى اللغوي والمجازي في أساس البلاغة:

بعد الاستقراء الكامل للمعنى الأول من المعجم الدال على ما وضع من القول موضعه من أصل اللغة⁸⁷ أو مثلما يجب الزمخشري أن يطلق عليه اصطلاح المعنى الحقيقي، أو المعنى اللغوي كما اصطلاحنا نحن عليه في المتن باعتبار المعجم مصنف في خانة المعاجم اللغوية التي تهتم بالدرجة الأولى بالمعنى اللغوي للكلمات القائم على تقديم دراسة لعناصر اللغة من دراسة لأصوات وصرف ورتبة الكلمة النحوية وهذه العناصر مجتمعة إضافة إلى المعنى الأول الذي تعرف به في صفوف الجماعة اللغوية

⁸⁷ ينظر سمير أحمد معلوف، حيوية اللغة بين اللغة والمجاز دراسة في المجاز الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1996، ص 80 وما بعدها.

وهي أمور تطرق إليها الزمخشري ووضحناها فيما سبق من النقاط، إلا أن مؤلف الأساس يتناسى أحيانا تفرقه الذي بنى على أساسه الكتاب من الاهتمام في الدرجة الأولى منه بالمعنى اللغوي لنجده يتخطى ذلك إلى الاتيان بما يصب في المجاز ونحن لا نقصد بحديثنا ما جعله من اهتمام بتعدد المعنى لتعدد السياقات التي ترد فيه المادة نحو قوله **عجم: والثور يعجم قرنه إذا دلكه،** وإنما حينما يورد الزمخشري عبارات وأساليب المتمعن والمتفحص في المعنى الذي تفيد سيدرك أنها تفيد معنى غير المقصود منها مما كانت تفيد في اصطلاح التخاطب ويدرك منها إندراجها تحت ما اعتبره الزمخشري مجازاً وأفرد له بعد المعنى اللغوي شقاً لبيانها، فقد عثرنا على مثل هذه العبارات في مواضع عدة من الشروح التي خصها للمعنى اللغوي التي تدخل في المجاز المرسل أو الكناية أو الاستعارة دون أن يكشف عنها الزمخشري بعبارات صريحة، ولكنه يفعل ذلك في مواضع أخرى دون أن يعتبر ذلك منه خرقاً للتقسيم الذي بنى على أساسه المعجم فنجد أنه ينص على ما يسوقه بأنه مجاز أو استعارة أو حتى كناية وذلك كثير في أساس البلاغة نذكر منه على سبيل المثال.

حاولنا في هذا الفصل الوقوف على خصائص المعنى اللغوي في أساس البلاغة، من وجهة نظر الزمخشري مبينين أهم مقومات هذا المعنى مسطرين خاصة على الكيفية التي عالج بها المؤلف التعريفات اللغوية لكلمات المعجم، فوجدناه مهتماً كما هو منتظر بمسائل تدخل في حيز الدراسة اللغوية أو واقفاً عند أهم المحاور التي يقف عندها أي معجمي لما يشرح المعنى اللغوي للكلمة من التركيز على خصائصها الصوتية، الصرفية، النحوية والدلالية لكن من وجهة نظره هو لا كما اعتدنا أن نقرأ في المعاجم التي سبقت تأليف الأساس وتلك التي أتت من بعده، وهي أمور وضحناها فيما سبق تقديمه من البحث من اهتمام الزمخشري بهذه النقاط إلى الحد الذي يسمح به غرضه من تأليف المعجم وهو التفرقة بين الاستعمالات الحقيقية وغير الحقيقية للكلمات، والاهتمام بالتركيب التي تملح وتحسن ولا تتقبض عنها الألسن دون إهمال تام منه الإشارة إلى خصائص الألفاظ الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

الفصل الثاني

المعنى المجازي في أساس البلاغة

٢. مقومات المعنى المجازي في أساس البلاغة

1. المجاز المرسل

1.1. الجزئية

2.1. الكلية

3.1. السببية

4.1. الفاعلية والمفعولية

5.1. المكانية

2. الاستعارة

1.2. ينص على أنها استعارة

2.2. ينص على أنها من المجاز

3.2. لا ينص عليها

3. الكناية

4. التشبيه

5. مجاز المجاز

٣. استراتيجيات الزمخشري في شرح المعنى المجازي

1. اللجوء إلى التفسير

1.1. التفسير بعبارة

2.1. تفسير معنى كل العبارة

3.1. تفسير معنى اللفظة لا كل العبارة

2. شرح المعنى بالشاهد

1.2. عبارات بليغة

2.2. آيات وأحاديث

3.2. أبيات من الشعر

4.2. أمثال

3. الاهتمام في الشرح بتغيير الدلالة

1.3. تقديم أصل المعنى ضمناً

2.3. تقديم أصل المعنى صراحة

4. اللجوء للساق في بيان المعنى المجازي

أ. الإتيان بمعان متقاربة

ب. الإتيان بمعان متباعدة

5. اللجوء للمنطق عند الشرح

1.5. من العام إلى الخاص

- 2.5. من المحسوسات إلى المعقولات
- 3.5. من الشائع إلى الأقل شيوعاً
6. استقصاء مجازات المادة
7. الاختصار
8. إلغاء الشرح
9. الشرح بالتجنيس
10. الشرح بالاشتراك
11. الخلط بين المجاز وباقي فروع البلاغة

1- المعنى المجازي في أساس البلاغة:

كتاب أساس البلاغة معجم في الأصل، إلا أن الزمخشري قد ميزه بخصيصة جعلته يتفرد بها عن باقي المعاجم التي أحدثت في اللغة سواء تلك التي أنت قبله أو تلك التي جاءت من بعده، ونقصد بكلامنا اهتمامه في معجمه الاهتمام الأكبر ببيان المعنى المجازي للكلمات، وقد رزّد هذا الجنوح والجدة في التصنيف إلى:

أولاً: ما امتاز به الزمخشري من إحاطة تكاد تكون شاملة للعلوم والمقاييس التي اشتهرت في زمانهم، فاللغوي بلاغي ومفسر وفقه ومتكلم... إلخ، فلا نجد في تلك الحقب ما يعرف بالتخصص في مجال أو علم معين مثلما هو الشأن في هذه الأيام والزمخشري عرف ببروزه في علوم مختلفة.

ثانياً: اهتمام العرب الاهتمام الأكبر بالقرآن وجعلهم إياه محور كامل الدراسات مبدأها وغايتها، فالزمخشري انطلق عند تأليفه أساس البلاغة من رغبة في تحقيق غاية دينية أولاً والمتمثلة في كشف بلاغة القرآن وسر إعجازه وتميزه عن أي نص أرضي.

ثالثاً: ما كان للاتجاه العقائدي والسياسي من تأثير بارز في التوجه المعرفي من حيث الآراء في المسائل العلمية وطبيعة المؤلفات عند كل مؤلف إذ عرف عن الزمخشري أنه معتزلي المذهب أخذ به إلى حد المغالاة وما تخصيص معجمه في المجاز إلا دليلاً على ذلك، وإلا فكيف نفسر ولادة فكرة إقحام المعنى المجازي في معجم من المفروض أنه لغوي سوى لأنه مأخوذ بمبدأ إثبات المجاز في اللغة ما يفسح المجال أمامه وأمام أشياع المعتزلة للتأويل وتشقيق المعنى إلى أن توافق مذهبهم، وأساس البلاغة مبني على هذا الأساس أي على فكرة اتساع المجاز في اللغة.

وإذا تتبعنا ورود ذكر لفظ المجاز للمرة الأولى في التراث العربي فإننا نتوقف عند كتاب مجاز القرآن ل: أبي عبيدة (ت 210هـ) والذي قصد منه الكشف عن «معاني

الألفاظ في مواضعها من النص القرآني، وعرض الطرائق التي استنتها القرآن في تعبيره»⁸⁸ فهو ركز في المؤلف على بيان أسلوب القرآن في التعبير عن الأوضاع مركزا بذلك على توضيح العلاقة وأوجه التشابه بين ما اعتادت عليه العرب في الكلام واللغة التي نزل القرآن بها وأحسن مثال على ذلك ما قيل في مجلس الفضل بن الربيع في تفسير قوله تعالى ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعتها كأنه رؤوس الشياطين﴾⁸⁹، ونجد ابن قتيبة (ت 276هـ) المتأثر بالجاحظ حدد جوانب المجاز وجعلها تشمل «الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والحذف، والتكرار والإخفاء، والإظهار والتعريض والإفصاح والكناية والإيضاح ومخاطبة الواحد والجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص، مع أشياء أخرى كثيرة»⁹⁰، أما الشريف الرضي (ت 406هـ) فإنه يطلق المجاز على اللفظ المستعمل في غير ما وضع له ويضيف إلى ذلك التشبيهات التي ذكر فيها المشبه والمشبه به وحذفت فيها الأداة وهو ما نجده في مصنفه **المجازات النبوية**، أما ابن رشيق (ت 463) فهو يربط المجاز بمعنى عام وهو طريق القول ومأخذه فصار التشبيه والاستعارة من محاسن الكلام داخلة تحت اسم المجاز وهو ما أثبتته في كتابه **العمدة** لينبه فيما بعد أن كلمة المجاز نُقلت إلى معنى أخص وهو تسمية الشيء باسم ما قاربه أو كان منه بسبب.

والمجاز لغة من «جاز المكان أي سلكه وسار فيه ومن ثم قيل للطريق مجاز لأنه مكان يجوزه الناس عند الانتقال من أحد جانبيه إلى الآخر ثم استعمل المجاز فيما يشبه الطريق من الأمور التي تتخذ وسيلة إلى بعض الأغراض»⁹¹، فالمجاز «مأخوذ من جاز يجوز إذا استن ماضيا، تقول جاز بنا فلان، وجاز علينا فارس؛ هذا هو الأصل. ثم تقول

⁸⁸ محمد بدري عبد الجليل، المجاز وأثره في الدرس اللغوي، ص 43.

⁸⁹ سورة الصافات، الآية 37.

⁹⁰ نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير-دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، المركز الثقافي العربي، ط5، 2003، ص 93.

⁹¹ محمد الخصر حسين، المجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، ج1، 1934، ص 291.

يجوز أن تفعل كذا: أي ينفذ ولا يرد ولا يمنع. وتقول: عندنا دراهم وضح وازنة، وأخرى تجوز جواز الوازنة: أي إن هذه وإن لم تكن وازنة فهي تجوز مجازها لقربها منها»⁹².

احتفظ المعنى الاصطلاحي للمجاز بما دل عليه لغة من معنى التجاوز والعبور والانتقال من دلالة إلى أخرى إذ يقدمه **عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)** على أنه «كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز، وإن شئت قلت كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع، إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز»⁹³.

فالمجاز بهذا المفهوم يفيد الانتقال باللفظ من المعنى الأول المتعارف عليه في اصطلاح التخاطب إلى معنى آخر وهو وسيلة فنية يُلتجأ إليها للتحرر من الضيق اللفظي، وللاتساع في المعنى وتعميقه، وإلباسه حلة جديدة غير التي عُرِف بها عند التعبير الأول، ولذلك نجد البلاغين يفرقون بين المعاني الأولى والمعاني الثانية للألفاظ. فالمعاني الأولى هي دلالات اللغة قبل أن تتطور، أو قبل أن يُتصرف في استعمالها، وأما المعاني الثانية فترتبط بالحالات النفسية والاجتماعية التي يعيش فيها المجتمع أو بعض أفرادها.

أما عن المجاز في أساس البلاغة فإن الزمخشري قد ضمن الأول في الثاني بشيء من الطرافة وكثير من الجدة والذي يظهر في المعجم بقوله: **ومن المجاز.**

⁹² جلال الدين السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم محمد جاد المولى بك وعلي محمد البجاوي، ج1، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ص285.
⁹³ محمد الخضر حسين، المجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة، ج1، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، 1934، ص291.

2- مقومات المعنى المجازي في أساس البلاغة.

تقصدنا من هذا العنصر الوقوف عند المعنى المجازي في معجم الأساس من سبيل التسطير على النفاط الأساس أو المحاور الكبرى المُشكَّلة لمعنى الكلمات الذي اعتبره الزمخشري مجازياً، ويبرز المجاز في المعجم تحت عنوان رئيس مصطلحا عليه بقوله "ومن المجاز".

فالمتصفح لمعجم أساس البلاغة سيشد انتباهه وللوهلة الأولى وعند إطلاعه على الصفحة الأولى منه بروز عبارة الزمخشري في مضمون شرحه لمادة **أبد** كلمة **ومن المجاز** والتي ستتكرر إلى حد الاطراد في كامل متن المعجم، لتكشف عن اهتمام الزمخشري بالمعنى المجازي للكلمات وحرصه على الإحاطة بما أمكنه مما تجاوزت به العرب من الألفاظ وما تجاوزت به من المدلولات، ونرجع سر اهتمام الزمخشري بالمجاز إلى «انتشار الكلام عنه في عصره، وفي القرن السابق عليه انتشارا كبيرا، إذ كان موضوعا جديدا عليهم جاذبا لأفكارهم»⁹⁴ ما يفسر شيوع الاهتمام به في القرن الذي سبقه والذي عاش فيه من باب التقليد في تقديم دراسات حوله سيما وارتباط هذه الدراسات بشكل من الأشكال بالقرآن الكريم لكونه أعجز كلام سمعته العرب وأجوده بلاغة وأكملة نظما وترصيفا، وهو ما كان قد أشار إليه الزمخشري في مقدمة الكتاب من اهتمامه في الأساس على النص القرآني والمعاني التي تحويه عباراته البليغة، وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى الدور الكبير والأساس الذي لعبه تأليف الزمخشري للكشاف قبل تأليفه لأساس البلاغة والمطلع على كلا المؤلفين سيدرك أوجه التشابه بين الزمخشري مفسر الآيات القرآنية في الكشاف وبين الزمخشري مقدم المعنى المجازي للكلمات في أساس البلاغة وتلك رواسب الفكر الاعتزالي التي لم يستطع الزمخشري التخلص منها وهو يؤلف أساس البلاغة.

وبعد أن استوفينا كامل المتن اللغوي للمعجم توصلنا إلى نتيجة مفادها أن الزمخشري قد قصد من وراء إطلاقه للفظ **المجاز** في أساس البلاغة **المجاز اللغوي** بكل علاقاته،

⁹⁴ حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ص 562.

والذي يظهر في العبارات التي ساقها والشروح التي أفردتها لكلمات المعجم نحو ما نذكره مما أفردته تحت ما يصطلح عليه في الدرس البلاغي ب:

١-المجاز المرسل:

حشد الزمخشري في أساس البلاغة كل العبارات التي تمت بالانتقال من الدلالة الأولى إلى الدلالة المجازية بصلة نحو تلك جاءت من سبيل المجاز المرسل دون أن يشير إلى ذلك أثناء الشرح، ونذكر منها ما جاء في علاقاته المتعددة نحو علاقة:

• الجزئية:

من الأمثلة على المجاز المرسل في المعجم ذي العلاقة الجزئية التي تتبني حسب تحديد البلاغيين لها من إطلاق اللفظ الدال على الجزء وإرادة معنى الكل منه مثال ما ساقه في شرح معنى مادة **أذن** بقوله: **ومن المجاز: فلان أذن من الأذان إذا كان سمعة⁹⁵**، فالملاحظ في العبارة ذكر لفظ **أذن** التي هي جزء أو طرف أو عضو من الإنسان وإرادة معنى الإنسان بكامله المتصف بصفة شدة السمع وحسنه. وقوله في مادة **وجه**: **ومن المجاز: وهو يبتغي بذلك وجه الله. وسمعت في المسجد الحرام سائلاً يقول: من يداني على وجه عربي كريم يحملني على نعيله...ومن يرد وجه السيل⁹⁶**. كما ساق في شرح مادة **كلم** عبارة: **حفظت كلمة الحويدرة لقصيدته، وهذه كلمة شاعرة⁹⁷**، يظهر المقصود من إطلاق لفظ كلمة التي هي جزء مكون للقصيدة للدلالة على النص الكامل لها لأن العرب اعتادت هذا الأسلوب في الكلام من إطلاق لفظ الجزء وإرادة معنى الكل منه، والأمثلة على هذا كثيرة في اللغة وفي أساس البلاغة بالتحديد باعتبار الزمخشري مهتم في المعجم بالكشف عن طرائق العرب في الكلام والتعبير عن كنه أنفسهم والتعريف بأشياءهم في أحسن صورة وأبلغ تعبير.

⁹⁵ أساس البلاغة، مادة أذن.

⁹⁶ حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ج 2، ط2، دار مصر للطباعة، مصر، 1986، ص665.

⁹⁷ أساس البلاغة، مادة كلم.

• الكلية:

كما نجد من العبارات في أساس البلاغة ما دل منها على عموم الأشياء والمراد أو المستساغ من المعنى منها هو الجزء فقط نحو عبارة الزمخشري التي ساقها في شرح المعنى المجازي لمادة كلي.

• السببية:

في أساس البلاغة عبارات يصب الغرض البلاغي منها في صلب المجاز المرسل ذي العلاقة السببية والقائم على إطلاق السبب على الشيء أو الحدث الذي تسبب به ذلك السبب مثل قوله في معرض شرح مادة أور: كاد يغشى عليه من الأوار وهو العطش⁹⁸ وكذا في بيان معنى مادة حمق إذ يقول: ومن المجاز: وقال بن صيفي لبنيه: لا تجالسوا السفهاء على الحمق أي على الخمر . وحمق: شربها، قيل لها ذلك لأنها سبب الحمق، كما سميت إنما لأنها سببه⁹⁹، وقول الزمخشري عند اهتمامه بالمجاز اللغوي من « إطلاق اسم الشيء على سببه، مثل قوله في سمع: ومن المجاز: سمع الله لمن حمده: أجاز وقبل، فالسمع سبب الإجابة والقبول»¹⁰⁰

• الفاعلية والمفعولية:

وهي أن يطلق لفظ في صيغة فاعل الفعل والدلالة به على ما وقع الفعل عليه أو العكس، ومن هذا الأسلوب في الكلام أمثلة كثيرة من العبارات التي ساقها الزمخشري في معرض حديثه عن المجاز نحو ما جاء في شرحه لمعنى مادة أمن إذ يشرح الزمخشري معناها المجازي في سياق العبارات التي ساقها لبيان ذلك بقوله: ومن المجاز: وناقاة أمون: قوية مأمون فتورها، جعل الأمن لها وهو لصاحبها¹⁰¹، ويقول في مادة برح: ومن المجاز: هذه فعلة بارحة: لم تقع على قصد وصواب، وقتلة بارحة: شزر¹⁰².

⁹⁸ المرجع نفسه، مادة أور.

⁹⁹ المرجع نفسه، مادة حمق.

¹⁰⁰ حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ص 665.

¹⁰¹ أساس البلاغة، مادة أمن.

¹⁰² مادة برح.

جأر قوله: جأر النبات: طال وارتفع، كما يقال: صاحت الشجرة إذا طالت، وجأرت أرض بني فلان: ارتفع نباتها¹⁰³. كما ساق الزمخشري عبارات فيها هذا النوع من المجاز ذي العلاقة الفاعلية أوالمفعولية عند شرح معنى ماد خفض المجازي بقوله:...وأرض خافضة السقيا ورافعة السقيا أي سهلة السقي وصعبته، ومنه خفض عيشه سهل ووطئ¹⁰⁴، ويشرح المعنى المجازي لمادة غرر يقول: يوم أغر محجل، ويوم أغر: شديد الحر، وهاجرة غراء¹⁰⁵.

• المكانية:

وهي «إطلاق اسم الشيء على مكانه مثل قوله في سمو: أصابتهم سماء غزيرة: مطر»¹⁰⁶، مثلما هو الشأن فيما جعله من عبارات في شرحه لمعنى مادة حيي إذ يقول: أتيت الأرض فأحييتها أي وجدتها حية النبات مخصبة. ووقع في الأرض الحيا وهو المطر، وأحيا القوم: أخصبوا، وحييت أرضهم، وأحيا أرضا ميتة¹⁰⁷.

2-ومن المستعار:

أشار الزمخشري في مقدمة الكتاب إلى اهتمامه بالمعنى المجازي لكلمات المعجم، إلا أننا أثناء عملية الاستقراء والتحليل لما جاء في باب المجاز منه استوقفنا عبارة كثيرا ما ألفينا الزمخشري مرددا لها لنذكر أن الهم الأكبر للمؤلف كان «موجها للاستعارة، فهي أكثر الأنواع المجازية ظهورا عنده»¹⁰⁸ خاصة في الشق الثاني من الكتاب أين نجد الزمخشري يقدم المعنى المجازي للمواد تحت عبارة ومن المجاز ثم يردفها بعبارة ومن المستعار، أو يمر الزمخشري مباشرة إلى ما جاء به من المستعار من معنى المادة دون الالتفات إلى ما يعد منه من المجاز، أما عن الكيفية التي يعرض بها الاستعارة فإنها تراوحت بين كون الزمخشري:

¹⁰³ أساس البلاغة، مادة جأر.

¹⁰⁴ مادة خفض.

¹⁰⁵ مادة غرر.

¹⁰⁶ حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ص557.

¹⁰⁷ أساس البلاغة، مادة حيي.

¹⁰⁸ المرجع السابق، ص556.

*ينص على أنها استعارة:

ومن الأمثلة التي صرح الزمخشري فيها على أنه في صدد تقديم الاستعارة ما جاء به وهو يشرح المعنى من قوله ومن المستعار في معنى مادة عجز: ومن المستعار: ثوب عاجز: قصير. ولا يسعني شيء ويعجز عنك¹⁰⁹ عزم: ومن المستعار: رأيته يعزم صاحبه أي يعضه بالملام، والعذائم اللوائم¹¹⁰.

وقال: ومن المستعار: قولهم للأشرف: العرائين¹¹¹، وقدم الاستعارة في معنى مادة عرف بالشكل التالي: ومن المستعار: أعراف الريح والسحاب والضباب: لأوائلها...¹¹². ومن المستعار: نزلنا في عرقوب الوادي أي في منحاه. وما أكثر عراقيب هذا الجبل وهي الطرق في منته...¹¹³، ومن المستعار: عطس الصبح إذا تنفس، ومنه قيل للصبح: العطاس، تقول: جاءنا فلان قبل طلوع العطاس وهبوب العطاس¹¹⁴.

*ينص عليها أنها من المجاز:

يقدم الزمخشري الاستعارة في أساس البلاغة تحت عبارة ومن المجاز لينص بعدها عليها بأنها استعارة، والتي استدللنا عليها من تلك الألفاظ التي وظفها الزمخشري للتببيه على ذلك نحو قوله في شرح معنى مادة توم قائلاً: ومن المجاز: قول ذي الرمة:

وحتى أتى يوم يكاد من اللظى به التوم في أفحوصه يتصيح

ينشقق، أراد البيض فسماه توما على الاستعارة¹¹⁵، ومن المجاز: لا تأرت فلانا يداه أي لا نفعناه، مستعار من تأرت حميمي إذا قتلت به¹¹⁶.

109 المرجع نفسه، مادة عجز.

110 المرجع نفسه، مادة عزم.

111 أساس البلاغة، مادة عرن.

112 أساس البلاغة، مادة عرف.

113 المرجع نفسه، مادة عرقب.

114 المرجع نفسه، مادة عطس.

115 المرجع نفسه، مادة توم.

116 أساس البلاغة، مادة تار.

والأمثلة على جعل الاستعارة فيما قد نص عليه على أنه من المجاز كثير في أساس البلاغة نذكر منها أيضا ما ساقه في قوله ومن المجاز: ما هو إلا تلب أي شيخ هرم. استعيرت للرجل صفة الجمل. تقول رأيت تلبا على تلب بيده تلب¹¹⁷، ويقول ومن المجاز: ...وصلاته مخدجة وخادجة وخداج وصفا بالمصدر. وأخدج أمره: لم يحكمه، وأنضجه: أحكمه، مستعار من إخداج الناقة وإنضاجها ولدها¹¹⁸.

* لا ينص عليها:

أشرنا فيما سبق إلى أن الزمخشري قد نوع في أساليب عرضه للاستعارة في شرح المعنى المجازي للمواد، فتارة يخص لها عنوانا رئيسا مثلما فعل وهو يقدم المجاز فيقول **ومن المستعار**، وتارة أخرى يعتبرها أولا من المجاز لما يسوقها تحت ما نص عليه بالمجاز ثم يقدمها على أنها استعارة بألفاظ تنبه القارئ على ذلك، إلا أنه في مرات نجد الزمخشري غير آخذ بالوسيلة الأولى ولا حتى الثانية وإنما يأتي بالاستعارة دون التعليم عليها وتسميتها بالاستعارة وإنما يكتفي بذكرها وتاركها مهمة الكشف عن صفتها بأنها استعارة للقارئ نحو ما كان منه حين شرح معنى مادة الشرح الذي يقدمه تحت هذه العبارة فإنه إما أن يسوق عبارات بليغة أو أمثال أو آيات وأحاديث دون أن ينبه عن الاستعارة التي فيها وإما أن ينبه على ذلك بقوله وهي استعارة، إلا أن ذلك لم يمنع الزمخشري من أن ينوع في الاستعارات التي ذكرها بين تصريحية ومكنية دون الإشارة إلى ذلك علنا، ومن الأمثلة على التصريحية منها ما قاله في مادة لسع.

¹¹⁷ المرجع نفسه، مادة تلب.

¹¹⁸ المرجع نفسه، مادة خدج.

3-ومن الكناية:

لم يقدم الزمخشري في مقدمة المعجم معلومات ذات بال عن أمور تطرق إليها في أساس البلاغة كتوضيح منهجه المتبع في التعريف أو تحديد المعنى، والمرجعية التي بنى على أساسها تمييزه بين المعنى الأول والمعنى المجازي للكلمات، إلا أنه مع ذلك بين بعضاً من خصائص الكتاب من تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح بإفراد الكناية عن التصريح، وتظهر الكناية في أساس البلاغة إما تحت ما نص عليه بعبارة ومن المجاز وذلك حين يعرض أثناء الشرح لعبارات وتراكيب يأتي تصنيفها بلاغياً تحت مفهوم الكناية، بتعبير آخر، ينص على نوع المعنى أولاً بقوله ومن المجاز ثم يبيث في ثانياً الشرح عبارات يكنى بها عن معنى غير معناها الأول المتبادر للأذهان دون أن يستخدم عند ذلك في معظم الأحيان ألفاظاً تحيل على معنى الكناية وإنما يفهم منه ذلك بعد التدقيق في المعنى المقصود من العبارة، وأمثلة ذلك كثير في أساس البلاغة نذكر منها ما جاء في شرح معنى مادة أبن، أرض، أول، بدي، جعد. كما تظهر الكناية في أساس البلاغة صراحة حين ينص عليها الزمخشري كنصه على ما جاء من قبيل المجاز من المعنى حين يعبر عن ذلك في محطات عدة من الكتاب في بيان معنى عدد من المواد بقوله **ومن الكناية** متبعا في ذلك الخطة نفسها التي اتبعتها في عرض المعنى المجازي حين يهتم تحت هذه العبارة بالانتقالات إلى تقديم عبارات تدخل في حيز الكناية بأنواعها كما حرص في معظم الأوقات على التعليق على أصل المعنى والغرض منها نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما قاله في معنى مادة أخرج: أبعد الله الآخر أي من غاب عنا ويعد، والغرض الدعاء للحضور، ويقول: بش لي فلان بخير إذا أعطاك، لأن العطاء تلو البشاشة¹¹⁹، وعبر عن الكناية في شرح معنى مادة بضع إذ يقول: بضع المرأة بضعاً وباضعها بضاعاً وملك بضعها إذا عقد عليها. وبضعت من الماء: رويت لأنك تقطع الشرب عند الري. يقال: حتى من تكرر! ولا تبضع وبضعت من فلان إذا سئمت من تكرير النصح عليه فقطعته، ليشرح معنى مادة جمع بسوق ما جاء منها من الكناية ب: فلانة قد جمعت الثياب أي كبرت، لأنها تلبس الدرع والخمار والملحفة، ومن أساس

¹¹⁹ أساس البلاغة، مادة بشش.

البلاغة ما جاء في مادة صدف: رجل صدوف: أبحر لأنه كلما حدث صدف بوجهه لثلا يوجد بخره.

وقد يقحم الزمخشري نصوصا دالة على الكناية في معرض شرح المعنى المجازي لبعض المواد منها القارئ إلى ذلك باستخدام ألفاظ دالة على ذلك نحو معنى مادة جعد: ...وأما قولهم: جعد للجواد فمن الكناية عن كونه عربيا سخيا، وغير منه على ذلك في أحيان أخر نحو ما ساقه في معنى مادة أبن ومن المجاز: بينهم أبن أي عداوات وإحن. وفي أرض: فرس بعيد ما بين سمائه وأرضه إذا كان نهدا، كما نجده في أحيان أخرى يجمع بين ما جاء من قبيل المجاز مع ما جاء من الكناية في عبارة واحدة كقوله في بيان معنى مادة شبيب: ومن المجاز والكناية: شبت الحرب بينهم، وسمعت من يحي النار وهو يقول...

4-التشبيه:

من بين فروع المجاز التي حازت على اهتمام الزمخشري في أساس البلاغة وهو يعرف المعنى المجازي للكلمات التشبيه، إذ تقصد أن يورد عبارات فيها علاقات مشابهة، إلا أن ذلك لم يكن بالنسبة نفسها التي كانت عليها باقي الفروع، لأننا بعد إطلاعنا على كل ما كتبه الزمخشري عن المعنى المجازي للمواد وقعت أيدينا على عدد من العبارات التي تحوي تشبيهات يدركها القارئ من تلقاء نفسه أحيانا ويهتدي إليها أحيانا بتوجيه من الزمخشري حين يشير إلى ذلك بقوله مثلا وهو تشبيه وما إلى ذلك من التعبيرات التي تحيل القارئ على هذا النوع الآخر من المجاز الذي تقصد الزمخشري التطرق له في بيان المعنى المجازي باعتبار التشبيه إحدى آليات الانتقال في الدلالة بعقد مقارنة بين صورة وأخرى بعلاقة مشابهة لأن الزمخشري قد وقع على كل ما من شأنه أن يستفز ذهن القارئ ويفتح أمامه أفقا لامتناهيا من التخيل وإعمال للفكر حين يجتهد في تصور هذه العلاقات متخطيا مهمة تقديم دلالات الكلمات إلى الإحاطة بعنصرين هامين من عناصر فن القول هما:

1- أثر الاستعمال في حياة الكلمة وتعيين دلالتها:

اهتم الزمخشري في أساس البلاغة بالكلمة وهي في سياق، بمعنى أنه اهتم باستعمال الكلمة والدلالة الذي تحيل عنها مقدما بذلك استعمالات الكلمة حتى القرن السادس.

2- تقديم شيء عن إحياء الكلمة:

والعنصر الثاني الذي أثاره الزمخشري في أساس البلاغة هو تخطيه الدلالة المعجمية المجردة والتي لا تعد كل الدلالة التي تحيل عليها الكلمة إلى بيان أثر هذه الكلمات على الأذهان ووقعها في الأنفس¹²⁰.

مجاز المجاز:

قام الزمخشري في أساس البلاغة بذكر عبارة ومن مجاز المجاز وهو في معرض تقديم معنى المواد، وهي عبارة تتكرر في متن المعجم لكن بنسبة ضئيلة مقارنة بمثيلاتها، فكان يقدم ما جاء من سبيل المجاز ثم يردفه بعبارة ومن مجاز المجاز دون أن يقدم المقصود من منها لا في مقدمة الكتاب ولا في ثنايا المعجم، ولم يشر إلى الفارق بين ما ساقه من شرح فيما اعتبره من المجاز وما أتى به تحت مجاز المجاز، وقد نُرجع عدم توضيح الزمخشري لما قصده من هذه العبارة إلى شيوع استخدامها في عصره كشيوع الاستعارة والكناية.

وبعد القراءة والتمحيص في المعنى الذي دلت عليه العبارات التي ساقها الزمخشري تحتها وقفنا على تحديد لمفهوم عبارة **مجاز المجاز** عند الزمخشري باعتباره يهتم فيها بالمجاز المتفرع أصلا من المجاز فأصبح بذلك الأول حقيقة بالنسبة للثاني لشيوع المعنى المجازي الأول وكثرة استخدامه فصار يدل دلالة المعنى الحقيقي، أما الكيفية التي كان يقدم فيها المعنى فكانت بالاستهلال بعبارة ترد فيها المادة المراد شرحها ثم يقدم المقصود منها بعدها يستدل على ذلك ببيت شعري أو مثل أو غيرهما، لكن ما يسوقه الزمخشري تحت ما اعتبره من مجاز المجاز مرتبط بعلاقة مع ما قدمه فيما اعتبره من مجاز المادة

¹²⁰ ينظر مقدمة أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1979 ص.ح-ط.

نفسها، والدليل على ذلك ما جاء في معنى مادة دعو المجازي إذ قال ومن المجاز:...وتداعت عليهم الحيطان، وتداعينا عليهم الحيطان من جوانبها: هدمناها عليهم. ومن مجاز المجاز: تداعت إبل بني فلان: هزلت أو هلكت؛ قال ذو الرمة:

تباعد مني أن رأيت حمولتي تداعت وأن أحيا عليك قطيع¹²¹.

ونحو ما جاء به في شرح معنى مادة قسو: ومن مجاز المجاز: قول الشعبي لأبي الزناد: تأتينا بهذه الأحاديث قسية وتأخذنا منا طازجة. وهذا كلام قسي، كما يقال: كلام زائف وبهرج...¹²²، وكذا ما قال في معنى مادة كلي: ومن مجاز المجاز: سحابة واهية الكلي¹²³.

ومن المشتق منه:

تظهر كذلك في ثنايا أساس البلاغة وهو يشرح معنى المواد عبارة **ومن المشتق منه**، ولكن هذه المرة بعدد محدود جدا إذا ما قورن بعبارة **ومن المجاز وغيرها**، مادة أنف

حاولنا من خلال هذا الفصل تسليط الضوء على أهم جزء من أساس البلاغة والذي يقع تحت ما اصطلح عليه بعبارة **ومن المجاز** التي ترد ذكرها في أغلب شروح المواد التي تضمنها أساس البلاغة والمتعلق بما جاء به الزمخشري من معاني مجازية لكلمات وتراكيب اللغة العربية دون أن نهمل ما أفردته تحت عبارة **ومن المستعار** وعبارة **ومن الكناية** وما جاء في ثنايا كل منها من تشبيه ومجاز المجاز، لنجعل أهم المعالم التي يرسوا عليها هذا الشطر من البحث هو المعلم المنهجي المتجلي في أهم استراتيجيات الزمخشري في شرح المعنى المجازي لمواد معجمه التي خصها بذلك لنستقر في الأخير على اعتبار المؤلف قد نوع منها حسب ما يمليه عليه منهجه في التأليف وحسب ما استطاع جمعه من معاني وعبارات تصب في عموم مفهوم المجاز لدى المؤلف، فأنت تلك الاستراتيجيات والآليات إضافة إلى تنوعها أنت مرسلة غير متكلفة في الأغلب منها،

¹²¹ أساس البلاغة، مادة دعو.

¹²² المرجع نفسه، مادة قسو.

¹²³ المرجع نفسه، مادة كلي.

وهو ما لمسناه من أول معنى مجازي لأول مادة من المعجم إلى آخر شرح مجازي لآخر مادة من آخر باب من اهتمام الزمخشري في أساس البلاغة بالمعنى المجازي الذي تكتسبه الكلمة وتقدمه للقارئ بالصفة التي رآها مفيدة وخدمة للهدف الذي سطره لنفسه لما ألف أساس البلاغة.

يعرف أساس البلاغة بين المشتغلين في حقل الدراسات المعجمية بالمعجم الموضوع في المجاز ذلك لأن الزمخشري قد صب جُل اهتمامه فيه على ما تفيده اللفظة والعبارة من معنى حاف وانزياح في الدلالة، فوقفنا بسبب ذلك عند خصائص المعنى المجازي في هذا المعجم لنجد المؤلف قد فرق مفهوم المجاز بين المجاز المرسل بعلاقاته المتعددة، والاستعارة بنوعيتها فالكناية والذي جعل لها عناوين بارزة من المعجم تظهر في صفحاته بشكل متفاوت، كانت الأولوية فيه للمجاز المرسل إذ حشد الزمخشري عبارات وتعابير تدخل في هذا النوع من المجاز منوعا في كيفية التقديم لها وبيان أغراضها، كما اهتم كذلك بالاستعارة والتي كان لها في المعجم حصة الأسد في حجم العبارات التي ساقها أثناء الشرح وما تفيده من جماليات في التعبير وإبداع في التصوير، إضافة إلى نثره لعبارات أخرى تفيد التجوز في الدلالة أيضا ولكن في مرات قليلة جدا نحو استعماله لتعبير ومن المشتق منه، أو عبارة ومن مجاز المجاز، ولكن ما خلصنا إليه في هذا الشق الأول من الفصل الثاني من البحث إلى اعتبار الزمخشري فقيه في اللغة والتفسير ومتمكن من البلاغة والبيان إلا أنه قد وقع في خلط ظاهرة معالمه بين مختلف المفاهيم البلاغية كمفهوم المجاز المرسل والاستعارة والكناية.

استراتيجيات الزمخشري في شرح المعنى المجازي:

رُ منّا من هذا العنصر المتشقق من المحور الأول المتعلق بالمعنى المجازي في معجم أساس البلاغة الوقوف عند خطة الزمخشري في تقديم هذا المعنى كاشفين عن أهم الوسائل أو الاستراتيجيات التي اتخذها في التعريف بمعنى المواد سواء تلك التي ورثها عن من سبقه إلى التأليف في المعاجم أو تلك التي تفرد وتميز بها وهو يؤلف أساس البلاغة ويضع معالمه الأولى والأخيرة التي خصه بها، فالمعجم يختلف عن أي معجم آخر في موضوعه، مواده المعجمية، طريقة ترتيبها وطريقة التعريف بمعناها، وهذه النقطة الأخيرة بالذات هي التي حازت على اهتمامنا فقدمناها في هذا العنصر حتى نعرف القارئ بالمعجم عن كُتب ببسط التقنيات التي قدم بها المؤلف المعنى المجازي للمواد وبعد الاستقراء والتحليل ألفينا الزمخشري منوعاً في ذلك وهو ما يظهر في:

1- اللجوء إلى التفسير:

يلجأ الزمخشري في أساس البلاغة إلى آلية التفسير حينما يسعى إلى تقديم المعنى المقصود من العبارة التي ذكرت فيها الكلمة الأساس أو إحدى الكلمات المتفرعة والمشتقة منها أفعالاً مزيدة أو أسماء أو صفات إذا كان المقصود من المجاز خافياً وذلك بعدة أوجه أهمها:

• التفسير بعبارة:

وذلك حين يعتمد الزمخشري إلى الإتيان بعبارة فيها مجاز، ولكي يبين المقصود منها في إطار هذا النوع البلاغي ويحدد مكانه فيها فإنه يردفها بعبارة أخرى تبيّن معنى الأولى وتجليه ويفصل بين العبارة المشروحة والعبارة الشارحة إما باستخدام النقط (:)، أو بأداة أي أو إذا أو يستغني عنها جميعها ويمضي في شرح المعنى مباشرة دونما الحاجة إلى الاستدلال على ذلك والقارئ يدرك منه ذلك بيسر نحو ما نقرأ من شرحه لمادة ابن في قوله: ومن المجاز: بينهم ابن أي عداوات وإحـن، وفي حسبه ابن أي عيوب¹²⁴، مثلما

¹²⁴ أساس البلاغة، مادة ابن.

كان الحال في شروح مواد عدة نحو ما ساقه في مجاز مادة ثم: هو لك على طرف الثمام، وعلى ظهر العس إذا كان هين المتناول، وتكلم فما تثمثم ولا تلعثم أي ما توقف¹²⁵ وقوله في مادة قتل: دابة مقتلة: مذلة قد مرنت على العمل، وقلب مقتل: أهلكه العشق. واقتلته النساء: افتتته حتى أهلكه¹²⁶. والزمخشري ليس الوحيد من اعتمد على هذه الوسيلة في بيان معنى الكلمات وإنما هي طريقة ندركها في كامل المعاجم التي سبقت وتلت أساس البلاغة. والزمخشري صحيح أنه نشد الجدة والتميز من تأليف معجمه لكنه لم يتصل من بعض التقاليد التي توارثها عن سبقه في هذا المجال.

• تفسير معنى كل العبارة:

قام الزمخشري في أساس البلاغة بسوق عبارات ترد فيها المادة الأساس أو إحدى الكلمات المتفرعة عنها والمشتقة منها والتي تراوحت بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وبين الأشعار والأمثال والعبارات المليحة «لذا كان يشرح التعبيرات التي وقعت فيها ألفاظ المادة اللغوية التي يعرض لها لا أن يشرح اللفظة مفردة في كثير من الأحيان وهذا لأن هدفه هو الكشف عن جوانب البلاغة في الأساليب اللغوية وبهذا خالف ما جرت عليه المعجمات الأخرى من شرح الألفاظ والمشتقات في غالب الأحيان باعتبار ذلك هدفا أساسيا للمعجم»¹²⁷، بمعنى أن الزمخشري لما ينتقل إلى تبيان المعنى فإنه في مرات عدة وفي محطات مختلفة يلجأ إلى تقديم المعنى المقصود من العبارة ككل، أي أنه يقدم معنى الكلمة وهي في ذلك السياق اللغوي الخاص وما اكتسبته من دلالة بفضل ذلك التتالي الخاص وتجاوزها لغيرها من الكلمات، ما يجعل القارئ يدرك اهتمام الزمخشري بالعبارة باعتبارها كلا ومحصلة لعنصري الغياب والحضور في وحداتها ويفهم حرصه على تكريس مبدأ حدوث البلاغة في التركيب لا في الكلمة المستقلة بذاتها نحو ما ألفيناه في شرحه لمعنى مادة أتب بقوله ومن المجاز: وتأتب القوس إذا أخرج منكبيه من حمالة القوس فصارت على كتفيه¹²⁸، وقوله ومن المجاز: تأنق في عمله وفي كلامه: إذا فعل فعل

¹²⁵ المرجع نفسه، مادة ثم.

¹²⁶ أساس البلاغة، مادة قتل.

¹²⁷ عبد الغفار حامد هلال، مناهج البحث في اللغة والمعاجم، ط1، 1991، ص435.

¹²⁸ المرجع نفسه، مادة أتب.

المتأنق في الرياض، من تتبع الآنق والأحسن¹²⁹ وما ساقه في شرحه: رماه بأقحاف رأسه: نطحه عن مراده، وما له قد ولا قحف: ما له شيء وهما جلد السخلة والقحح المكسر¹³⁰. ومن المجاز: أنف متنفش: قصير المارن منبسط على الوجه كأنف الزنجي¹³¹. ونرجع سبب لجوء الزمخشري لهذه الآلية في تلك المواضع إلى رغبته في تبيان ما للسباق اللغوي من دور في تحديد وتغيير دلالة الكلمة إضافة إلى سعيه الدؤوب إلى تتبع ملامح البلاغة وكشفها للقارئ وإجلاء المعنى الذي تحيل عليه والذي قد يستعصي الإلمام به دون تدخل وتوجيه منه لكون ذلك مهمته الأولى وواجبه الأوحد حين اختار تأليف معجم ما لهذا الأخير من إزالة للغموض والإبهام عن ما تفيده وتدل عليه الكلمات.

• تفسير معنى اللفظة لا كل العبارة:

قد يلجأ الزمخشري وفي أحيان عدة وهو يقدم المعنى المجازي للكلمة والتي قدمها في تركيب لغوي كما جرت عليه العادة إلى تفسير معنى الكلمة التي يأتي ذكرها في العبارة التي ساقها فقط ولا يشرع في توضيح وتقديم المعنى المقصود من العبارة ككل (مثلما كان فيما بيناه فيما سلف) سالكا بذلك مسلك المعجميين الآخرين علما أن الزمخشري تحيز في أساس البلاغة للتركيب دون اللفظ، والعلة في الاكتفاء بالإشارة إلى معنى الكلمة دون معنى العبارة هو ميله للاختصار وهي ميزة كامل المعجم في اقتصاده في حصد بعض لا أغلب المعاني الذي تحيل إليه الكلمة الواحدة، ومن أمثلة اهتمام الزمخشري بمعنى الكلمة وإهمال ما أفادته من معنى في التركيب قوله في معنى مادة أبد: شسع: له شسع من المال: قليل منه، وقيل: ذهب بشسع ماله: بأكثره...¹³² أرث، قدد، لغو المجازي، إلا أن الزمخشري لم يشتط في تبني هذه المنهجية في الشرح حتى وإن جنح إلى الأخذ بها في مواضع من المعجم.

¹²⁹ أساس البلاغة، مادة أنق.

¹³⁰ المرجع نفسه، مادة قحف.

¹³¹ المرجع نفسه، مادة نفش.

¹³² المرجع نفسه، مادة شسع.

2- شرح المعنى بالشاهد:

لاحظنا في كامل معجم أساس البلاغة تواتر ظاهرة الاهتمام بذكر الشواهد آيات أو أحاديث كانت أو أشعار أو أمثالا أو حتى عبارات بليغة وذلك في أثناء شرحه لمعنى الكلمات أو حتى العبارات، وهو أمر اعتدنا أن نجده في المعاجم العربية قديمة كانت أو حديثة لأن استعمال الشاهد «بالمعجم يعزز التعريف ويدمج المدخل المعجمي في الخطاب الكلامي. فسواء كان قصيرا أو طويلا، مطبوعا أو موضوعا فهو يعتبر علامة كبرى لأنه يكون جملة أو عبارة أو مجموعة من العلامات... فهذه الشواهد جزء من وصف مداخل المعجم»¹³³، والاستعانة بالشاهد في الشرح يساعد في توضيح المعنى وتقريبه للذهن كما تساعد في إجلاء المعنى العام للمدخل، وقد نوع الزمخشري في أساليب ذكر تلك الشواهد حينما يقدم المعنى المجازي للكلمة، فتارة يأتي بها لاحتوائها فقط على المادة التي هو بصدد تقديم وتبيان معناها، وتارة أخرى نجده قد ساقها لتوضيح معنى الكلمة أو العبارة بعد أن يكون قد شرحها بأسلوبه الخاص ليعزز مبدأه الأساس من الأساس في تقديم ما أمكن تقديمه من الأساليب التي تحسن وتملح ولا تنقبض عنها الألسن وكذا ليقدم دليلا ملموسا على صحة ما ذهب إليه من شرح وليقطع الشك بالحجة أمام القارئ على راحة وصحة ما قدمه من شرح بدليل ورودها بالمعنى نفسه في تلك الشواهد، ومن أهم هذه الاستشهادات:

أ- آيات قرآنية وأحاديث:

استعان الزمخشري لشرح وبيان المعنى المجازي لكلمات المعجم على آيات قرآنية وأحاديث نبوية دون الإشارة إلى اسم الآية أو راوي الحديث وإنما مكتفيا بوضعها بين مزدوجين أو قوسين، ويعود سبب اعتماد المؤلف على هذين المصدرين إلى الغاية الدينية التي توسمها من أساس البلاغة في الدفاع عن القرآن وبلاغته، إثبات المجاز في القرآن بعد إثبات وجوده في اللغة لأن القرآن قد نزل بلغة العرب واتبع أساليب العرب في الكلام لأنه نزل مخاطبا إياهم فمن الواضح أن يحدثهم بما اعتادوا التحدث به، وتبرز الخلفية

¹³³ محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي قديما وحديث، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1986، ص176.

الدينية أولاً في هذا المعجم قبل الإطلاع على ما استشهد به الزمخشري من الآيات والأحاديث في المقدمة المطولة التي جعل يتحدث فيها عن بلاغة القرآن «التي تقطعت عليها أعناق العناق السبق، وونت عنها خطا الجياد القرح»¹³⁴، ليعزز هذا المنحى في متن المعجم حين يستدل على معنى من معاني كلمة من المعجم بالرجوع في ذلك إلى النص الديني إما مستشهداً به على صحة الشرح الذي قدمه ومدعماً له نحو ما ساقه في شرح معنى مادة، أو مكثفياً بما تحمله الآية أو يضمنه الحديث.

ب- أبيات من الشعر:

يعد أساس البلاغة مصدراً هاما جمع فيه الزمخشري أشعار العرب دون الاكتراث بالفترة التي قيل فيها ذلك الشعر ولعله استوحى فكرة الاستشهاد بأبيات من الشعر مما قرأه في كتب الأولين وقد يكون قد اتبع منهج أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن الذي يقوم كله على ذلك حين يحاول «شرح التركيب، ثم يستشهد على صحته بأبيات من الشعر... ويعد هذا المسلك من جانب أبي عبيدة استمراراً للتقليد الذي رفع شعاره ابن عباس»¹³⁵ بمعنى أن الزمخشري إضافة إلى سعيه الحثيث إلى تحقيق هدفه الخاص من المعجم فإنه اتبع حين استشهد بالشعر في تبيان معنى الكلمات منهج أبي عبيدة الذي هو بدوره نسخه من فطرة ابن عباس الذي جعل يستشهد عن غريب القرآن من الشعر لأنه ديوان العرب، وقد نوع صاحب الأساس في ذلك فتارة يسوق البيت كاملاً، وأحياناً يكتفي بشرط منه، وأحياناً أخرى يأتي بطائفة من الأبيات وذلك حسب الحاجة من انكشاف المعنى الذي يسعى إلى تقديمه ووضوحه في شرط أو في البيت كاملاً أو في تقديم عدة أبيات وأحياناً يشير إلى قائله وأحياناً لا وأحياناً يأتي الزمخشري بشرح للمقصود من الأبيات بطريقتين إما أن يقدم المعنى العام من البيت نحو مادة وإما يشرح معنى بعض الكلمات منه نحو ما جاء في مادة وسن، وأحياناً لا يشرح المعنى بالمرّة وهو ما نجده في شرح مواد عدة.

¹³⁴ ينظر: مقدمة أساس البلاغة.

¹³⁵ نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير، ص101.

ج- أمثال:

ومن بين الوسائل التي اعتمدها الزمخشري في الشرح الاستشهاد بالأمثال العربية بكل ما تحمله من كثافة في الدلالة وثقل في المعنى، وهو أمر اعتدنا أن نجد له ليس في أساس البلاغة وحسب وإنما في جميع المعاجم اللغوية، وذلك حين يعمل صاحب المعجم وهو في معرض شرح معنى المواد أو الكلمات المتفرعة عنها إلى سياقة أمثال تسهم في بيان صيغ الكلمات وصحة وجودها في كلام العرب، أما عن الغرض من سياقة الأمثال في أساس البلاغة فكان لغاية في نفس الزمخشري -إضافة إلى خدمة غرض توضيحي من مساعدة الباحث على الاستمساك بمعنى الألفاظ - وهو محاولة منه حشد أكبر عدد ممكن من عبارات المبدعين، وما انطوى تحت استعمالات المفلقين وما جاز وقوعه فيها وانطوائه تحتها من التراكيب التي تملح وتحسن ولا تتقبض عنها الألسن¹³⁶ فالزمخشري اهتم بكل ما هو كلام جزل وبكل معنى بليغ.

نوع مؤلف الأساس في أساليب الاستعانة بالأمثال وهو يقدم المعنى المجازي للكلمات بعد اعتبارها أولاً من المجاز، فالمثل عند الزمخشري إضافة إلى جودة تركيبه فإنه يحمل دلالة مجازية فلا يراد منه ما تدل عليه الكلمات صراحة وإنما ما تخرج عنه إلى ما هو حاف عن المعنى الأصلي، إنه مهتم بسياقتها في الشرح، ينص عليها أحياناً ولا يفعل ذلك أحياناً أخرى، تاركاً في الكثير من المرات مهمة البحث عن المقصود منها ومصادرها ومضاربهما للقارئ نحو ما كان وهو يشرح معنى مادة صمت: «ومن المجاز: « ما له صامت ولا ناطق »¹³⁷، ومن المجاز: صدنا الكمأة، وصدنا ماء المطر، وهو يصيد الناس بالمعروف. وفي مثل: «صيدك لا تحرمه»¹³⁸ إذا حثه على انتهاز الفرصة. ويقال: «اقصدي تصيدي» أي توح الحق والعدل تصب حاجتك¹³⁹، ويقول: «وتركته على

¹³⁶ ينظر: مقدمة أساس البلاغة.

¹³⁷ أساس البلاغة، مادة صمت.

¹³⁸ المرجع نفسه، مادة صيد.

¹³⁹ المرجع نفسه، مادة صيد.

مثل مقص القرن» ومن المجاز: ...وفي مثل: «كالبائع الكبة بالهبة»: بالريح، يضرب في الغبن¹⁴⁰

د- عبارات بليغة:

جعل الزمخشري أساس البلاغة موردا عذبا مستساغا ومرجعا غنيا بكل ما بلغ من العبارات وحسن من التراكيب، وهي ظاهرة يمكن أن نقول عنها إنها يتفرد بها أساس البلاغة عن باقي معاجم اللغة من اهتمام مؤلفه فيه الاهتمام الأكبر بأجود أساليب العرب في الكلام وطرقهم في الإبانة عن المحسوسات والمعقولات، وقد نرجع هذا المنحى المتميز في تقديم معنى الكلمات إلى اهتمام الزمخشري بعلم الكلام ورغبته في تقديم معجم يفيد منه

3- الاهتمام في الشرح بتغيير الدلالة:

يعد معجم أساس البلاغة مصدرا جدها لمن ابتغى تتبع تغيير دلالة الكلمات إلى القرن السادس وذلك لما رصده الزمخشري في مواضع منه من معاني ودلالات ذات بال تكشف عن انتقال وتغيير وتطور دلالة الكلمة الواحدة ما سقط منها من معنى وما اكتسبته بمرور الحقب والأزمنة إذ يحصل أن ترقى دلالة اللفظة لترقى بذاتها كما قد يحصل أن تتحط إن ألصق بها معنى منحط عن المعنى الأول المتعارف عليه، ونجد هذه الظاهرة وهذا الأسلوب في عرض دلالة الكلمات في عدد لا بأس به من شروح المواد أين نجد الزمخشري قد تكبد عناء البحث والتنقيب على معنى اللفظة الأول ورصد وتتبع ما حدث في معناها من تغيير وكان ذلك بأسلوبين:

*تقديم أصل المعنى ضمنيا:

اهتم الزمخشري في أساس البلاغة على غرار جميع من ألف في المعاجم بتقديم معنى المواد والكلمات والعبارات التي ساقها في الشرح-بقدر معين- لكنه تخطى ذلك في مواضع عدة من الأساس ومن الشرح إلى مهمة البحث والتقديم للمعاني التي تعد أصلا

¹⁴⁰ المرجع نفسه، مادة كيب.

للمعنى الذي ساقه، واتخذ في ذلك في المعجم طريقة مميزة، إذ لانجده يشير إلى أصل المعنى صراحة في الكثير من الأحيان لكن القارئ يدرك منه ذلك، وهو أمر قد يكون متعمداً منه وقد يكون غير ذلك وإنما قاتده قريحته إلى الإشارة إلى المعاني الأصلية دون إشارة منه عليها بصريح العبارة نحو شرح مادة أبل وأسرو وجر وجر وغيرها.

*تقديم أصل المعنى صراحة:

إلا أننا نجد المؤلف يشير في أحيان أخرى لفظاً على أصل المعنى وذلك بعبارات محددة على حد قوله: وأصله كذا نحو ما جاء في شرح معنى مادة جول، ثري، سرف، بني، فرث قحدرمس، وقد يصطلح على ذلك بعبارة أصله كذا ثم كثر نحو شرحه لمعنى مادة بنن، خور وحمس، أو قد يقول في ذلك أصله كذا فاتسع نحو مادة حلب، أو ينبه على ذلك بعبارة الأصل كذا ثم قيل أو أصلها كذا ثم عمت.

اللجوء للسياق في بيان المعنى:

تبرز ظاهرة اللجوء للسياق اللغوي في بيان معنى الكلمات في كامل معجم أساس البلاغة، وهو أمر تقصده الزمخشري وأشار إليه في مقدمة الكتاب، وهي أن يقدم الكلمات المراد بيان معناها وتوضيحه للقارئ ضمن تركيب لغوي يبرز معناها ويميزه عن المعاني التي قد تحملها الكلمات ذاتها أو إحدى مشتقاتها إن هي توزعت على تراكيب لغوية أخرى، وقد يعقب الزمخشري على ما أفادته من معنى وقد لا يعقب، وقد يستشهد على ذلك بآيات وأحاديث وأقوال العرب وقد لا يستشهد، واهتمام الزمخشري في الأساس بالسياق لم يلهه البتة عن الالتفات للمعنى الذي تفيده كل عبارة والذي تتنوع وتراوح بين:

*الاتيان بمعان متقاربة:

القارئ المتمعن للنصوص التي جاء بها الزمخشري حين يقدم المعنى المجازي لمواد أساس البلاغة سيجد في عدد لا بأس به منها المؤلف يقدم عبارات ويسوق ألفاظاً تدل على معان متقاربة ودلالات ذات وشائج بينها مقدماتها وجامعاً بينها على هذا الأساس والغرض الدلالي، فيكون الزمخشري بهذا الصنيع جامعاً لتراكيب تصب المعاني التي

تحملها في حقل دلالي واحد-إن تجوز لنا القول-أي وكن المؤلف تخير الكلمات والعبارات على أساس دلالي بحيث تدل على معان تصب في معنى عام واحد، ومن الأمثلة على هذا النهج في الشرح ما كان في شرح معنى مادة ثخن، جسر، جشأ، سقف ووتد وغيرها.

*الاتيان بمعان متباعدة:

وفي مواضع أخرى من الأساس نجد الزمخشري قد نحى منحى معاكسا للأول بأن يهتم وهو في معرض بيان المعنى المجازي للكلمات المداخل والمشتقات المتفرعة عنها بسوق ألفاظ وتراكيب لغوية لا تمت فيما بينها المعاني التي تدل عليها والتي قدمها الزمخشري بأي صلة، بمعنى آخر لما حللنا هذه الشروح ووقفنا عندها وقفة الباحث الممحص فيما أفادته من معنى وبالتحديد ما عرضه الزمخشري لم نجد بين هذه المعاني علاقات مقارنة وتداخلا في المعنى بينها، ونوعز هذا الأمر إلى اهتمام الزمخشري باللفظ وهو في سياق أولا.

وإلى اهتمامه بالمعاني الحافة التي تحملها الكلمات وهي موزعة على هذه السياقات ثانيا وهو ما يجعل كلمة واحدة تحمل معان متعددة ومختلفة في الآن ذاته، ومن الأمثلة على هذا ما كان في شرح معنى مادة تفح، ثلل، ثم وجرز.

اللجوء للمنطق في الشرح:

لم يستطع الزمخشري التخلص -وهو يؤلف أساس البلاغة- من رواسب الفكر الاعتزالي لديه، ف جاء بذلك المعجم يحمل شذرات من مبادئ وأفكار المعتزلة الداعية إلى الاحتكام للعقل في الشرح والتفسير « فنراه يقف أمام النص وقفة عقلية يكد فيها ذهنه مستتبطا المعاني منقبا عنها»¹⁴¹ وهو أمر نجده في أساس البلاغة بالتحديد خاصة عندما يقدم المعنى المجازي للكثير من المواد أين نجده يسعى جاهدا إلى تكريس ما ألهمته إياه المدرسة التي ينتمي إليها وينتسب لها ويدافع عنها. ويظهر من الزمخشري لجوؤه للمنطق والعقل إذ يفسر بسبل عدة تبرز جليا حين ينتقل في المعنى المجازي:

¹⁴¹ مصطفى الصاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، منشورات دار المعارف، مصر، 1968، ص280.

*من العام إلى الخاص:

من أبرز الاستراتيجيات التي اتخذها الزمخشري واعتمد عليها إذ يشرح المعنى المجازي لمواد الأساس اتخاذ ترتيب منطقي وهو يقدم معاني الكلمات والعبارات وذلك بأن ينتقل في المعنى من العام متدرجا في ترتيب تنازلي إلى المعنى الخاص وهو بهذا الصنيع مسهل على القارئ مهمة تتبع وإدراك المعاني المتعددة التي قد تحول عليها الكلمات والعبارات التي ترد فيها، وهي طريق لا نجدها فقط في أساس البلاغة ولكن في معاجم أخرى كثيرة وهو أمر توارثه مؤلفو المعاجم القديمة وسار على هديها المتأخرون.

*من المحسوسات إلى المعقولات:

قام الزمخشري في أساس البلاغة بالتعريف بالمعاني التي يمكن أن تحيل عليها الكلمة ومشتقاها والتراكيب التي يمكن أن ترد فيها، فكان أحيانا وهو يشرح المعنى يقدمه في تسلسل منطقي، فنجده يبتدئ بالمعاني الدالة على المحسوسات ثم ينتقل إلى ما يدل منها على المعقولات، والأمثلة على هذا النهج في ترتيب المعنى في أساس البلاغة كثير نستشهد بما كان في بيان معنى مادة أبرو أرض و أري وبصص.

*من الشائع إلى الأقل شيوعا:

حتى وإن كان الزمخشري في أحيان عدة يغالي في الاقتصاد عند توضيح وشرح المعنى المجازي للمواد سواء بالاختصار في الشرح أو الاستغناء عنه بالمرّة وتحميل القارئ مشاق البحث والتنقيب لاستشفاف المعنى، فإننا نجد أحيانا أخرى يسهل عليه مهمة البحث وتتبع دلالة الألفاظ والعبارات بأن يسوق ما تخيره من الكلمات التي سيقدم معناها مرتبة حسب معناها وفقا لمعيار الشيوع.

بمعنى آخر، أي أن المؤلف يتعمد الاستهلال عند الشرح بالمعنى الأكثر شيوعا لدى الفئة التي خصص لها الزمخشري معجمه بالتأليف حتى يهيئ ذهن القارئ للانتقال به من معنى شائع متعارف عليه إلى معنى مجهول نسبيا.

ومن الأمثلة على هذا السبيل في تقديم الشرح والتعريف بالمعنى المتعددة والمنثورة في أساس البلاغة نذكر منها على سبيل الاستدلال ما كان في معرض شرح معنى مادة جنح: ومن المجاز: خفض له جناحه، وهو مقصوص الجناح للعاجز. وسال جناحا الوادي أي جانباه. وكسروا جناحي العسكر. وركب جناحي نعامة إذا جد في الأمر وعجل. وأنا في جناح فلان أي في ذراه وظله. وهو في جناح طائر إذا وصف بالقلق والدهش. وقدم إلينا ثريدة لها جناحان من عراق، ومجنحة بالعراق. وقال ومن المجاز: احتوى على الشيء: استولى عليه. واحتوى القوم: تجاوزوا، وهذا محتوى بني فلان ومحوهم أي متجاوزهم...¹⁴².

وهو أسلوب قد يكون الزمخشري اتخذ من أساليب السابقين في التفسير والشرح نحو ما كان في مادة زيد: كأن لقاءك. وتزيد اليمين: تسرطها كالزبدة كما يقال: « جذها جذ البعير الصليانة ». وزيدته وزيدته أزيد، بالكسر: أرفدته...، وفي معنى مادة شعل: (واشتعل الرأس شيئا) ؛ وقال لبيد: وقال إن تري رأسي أمسى واضحا سلط الشيب عليه فاشتعل وأشعلت الخيل في الغارة: بثنتها. وجراد مشتعل، بالفتح والكسر. وأشعل إبله بالقطران. وأشعلت فلانا فاشتعل غضبا، وقال كذلك ومن المجاز: هو يأكل الوجبة: الأكلة في اليوم والليلية، والصل أن لا يقع الأكل إلا وقعة واحدة، وقد أوجب وتوجب. ووجب عياله وفرسه توجيبا: عودهم الوجبة¹⁴³، ومن الأمثلة أيضا ما جاء في معنى مادة هلل المجازي: ما أحسن مستهل قصيدته: مطلعها. وتهلل وجهه من الفرح. وهلل البعير: استقوس من الهزال. وهلل الزاي والراء: كتبهما، ولا يقال: هلل الألف واللام لاستقواس فيهما. واستهل السيف: استل. وأهل الكلب بالصيد وهو صوت يخرج من حلقه إذا أخذه...¹⁴⁴.

¹⁴² أساس البلاغة، مادة حوي.

¹⁴³ المرجع نفسه، مادة وجب.

¹⁴⁴ المرجع نفسه، مادة هلل.

4-استقصاء مجازات المادة:

في مسيرة بحثنا في أساس البلاغة من استقصاء لمواده وتحليل لشروحه وقعت أيدينا على شروح مواد وكأن الزمخشري تكلف فيها نفسه استقصاء ما أمكن من الدلالات المجازية التي يمكن أن تحيل عليها الكلمة الواحدة لكن حين يقبلها من سياق وتركيب لغوي محدد إلى تركيب آخر مخالف لما للسياق اللغوي الذي ترد فيه الكلمة من علاقة وتحكم مباشر بالمعنى الذي تكتسبه. وهذه الإستراتيجية تذكرنا بمنهج الزمخشري في شرح معنى الآيات القرآنية في الكشف فهو لا يكتفي بالإشارة إلى الدلالة التي تحملها الآية الواحدة وإنما يتخطى ذلك بفضل عقليته المنطقية والرياضية إلى التقديم للآية لأكثر من معنى مستعينا على ذلك بوسيلة التأويل، وفي الأساس يتبنى المنهج نفسه حين يتعرض لأوجه الدلالة التي تحيل عليها الكلمة الواحدة نحو ما قرأناه في شرحه مادة بسر قائلا: ومن المجاز: ابترس الحاجة: طلبها قبل وقتها. وابتسر الفحل الناقة: ضربها من غير ضبعة، وابتسر الجارية وابتكرها واختضرها: افتضها قبل الإدراك. وغلام بسر وجارية بسرة: غضا الشباب. ويقولون صبحته والشمس حمراء بسرة: لما يصف شعاعها، قال: فصبحه والشمس حمراء بسر بسائفة الأنقاء موت مغلس وإن خرجت بك بثرة فلا تبسرها أي لا تفقأها، وهي بسرة غضة¹⁴⁵. وقال: ومن المجاز: هو أعز علي من ذباب العين وهو إنسانها. وبه ذباب سلال وذبابة. وعلى فلان ذبابة من دين وذبابات أي بقايا. وبه ذبابة من جوع، وصدت وبها ذبابة من عطش. وتقول: ما تركت في الإناء صباية ض، ذبب، ظهر، لطف.

الاختصار:

يميل الزمخشري كثيرا في أساس البلاغة إلى الاختصار والاقتصاد في الشرح حينما يقدم المعنى المجازي للمواد، ويظهر الاختصار في المعجم عندما يقلل أو يحد من ذكر المعاني التي قد تحيل عليها الكلمة أو العبارة فتأتي الكثير من الشروح فيه متسمة بالقصور سواء في عدد المشتقات التي يسوقها أو في المعاني التي تحملها كل كلمة

¹⁴⁵ أساس البلاغة، مادة بسر.

خاصة وأنه اهتم بالكلمة وهي في سياقات لغوية إلا أنه مع ذلك وقع أو تعمد الوقوع في الاختصار إلى حد المغالاة في «المعاني والصيغ والشواهد... يتضح منها ميل المؤلف إلى الاختصار وإيراد العبارات الجميلة»¹⁴⁶، فزيادة على الاختصار في عدد مواد معجم أساس البلاغة إذ لا يصنف في خانة المعاجم المهمة بالاستقصاء، فإن المؤلف اختصر كذلك في مواضع عدة منه في المعاني أو الدلالات التي تحملها الكلمة واهتم بذكر ما يخدم غرضه من أساس البلاغة من ذكر المعاني التي تحيل إليها المواد وهي في سياق لغوي أو تراكيبي تتسم بالبلاغة وتؤلفها ألفاظ مسجوعة، ومن الأمثلة على اختصار الزمخشري في بيان معنى الكلمات المداخل ما جاء في معنى مادة ملط المجازي: أن يقول الشاعر مصراعاً ويقول لآخر: أملط أي أجز المصراع الثاني. ومالطه، وبينهما ممالطة وهو من إملاط الحامل¹⁴⁷، وقال: ومن المجاز: توهج الجوهر: تلاًلأ. وتوجهت الرائحة؛ وقال في صفة الروضة: نوارها متباهج يتوهج وإن يومنا لوهج: شديد الحر، وقد توهج يومنا، وتوهج حره¹⁴⁸، وقال ومن الجاز: ذكر في أيام العرب كذا أي في وقائعها. (وذكرهم بأيام الله): بدمامه على الكفرة¹⁴⁹

نوارها متباهج يتوهج

5- إلغاء الشرح:

حتى وإن كانت المعاجم توضع أساساً لإزالة الإبهام والغموض على الكلمات والعبارات بتبيان معناها وتقديمه للقارئ في أوضح صيغة وأسهل سبيل لأن هذا الأخير يلجأ للمعجم لإزالة الإبهام عن الكلمات والعبارات التي يود إزالة العجمة عن معناها.

إلا أننا في أساس البلاغة ألفينا الزمخشري قد تجاوز تحقيق هذه الغاية ولم ينشدها في مواضع معينة من المعجم لنجده قد استغنى نهائياً عن تبيان معنى الكلمة والمقصود

¹⁴⁶ حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ص. 555-556.

¹⁴⁷ أساس البلاغة، مادة ملط.

¹⁴⁸ المرجع نفسه، مادة وهج.

¹⁴⁹ المرجع نفسه، مادة أيم.

من الكلمة من العبارة على حد سواء والتي جعلها في شرحه لمعنى المادة المدخل إذ يكتفي أحيانا بتقديم الكلمة في عبارة بليغة أو مثل شائع دونما التعليق عليها والتعقيب على معناها نحو ما قيل في شرح مادة أرز إذ يقول: بتنا بليلة أرزة: يأرز من فيها لشدة بردها، يقال: أرزت أصابعه من البرد؛ قال:

وقد أرزت من بردهن الأنامل¹⁵⁰

وقدم معنى مادة بخل المجازي على النحو التالي: ومن المجاز: قول أبي النجم:

والضامنين عثرات الدهر إذا السماء بخلت بالقطر¹⁵¹

ويقول: مطر وسحاب ذارف. ورأيت في يده قدحا يتذارف¹⁵²، وشرح المعنى المجازي لمادة شخص ب: فلان أخلاقه متشاكسة وأفعاله متشاكسة¹⁵³، عليك بالفحص عن سر هذا الحديث. وفلان بحت غن الأسرار فحاص عنها. واعلموا أن عند الله مسألة فاحصة¹⁵⁴، وقدم المعنى المجازي لمادة قحل على النحو التالي إذ يقول قَدَلَ الشيخ وقَل. وإنه لقاحل الجسم. وشيخ قحل وإنقل. وأقحله الصوم. وتقل في لبوسه وحاله. ونقول: فلان في بلد ماحل وعيش قاحل¹⁵⁵ ومن المجاز: قولهم للمحتقر: يا نَغْفَةَ¹⁵⁶، كما قدم المؤلف للكثير من المواد بالطريقة نفسها التي قدم بها ما قد سقناه من الأمثلة ومثلما عقب على معنى مادة نمق بقوله: قول ووعد منمق¹⁵⁷ ونعلل هذا النهج في الشرح إلى اهتمام الزمخشري الاهتمام الأكبر بالعبارة البليغة باعتبارها ترتيبا لغويا ذي خصائص فنية معينة.

وقد نرجع لجوء الزمخشري لهذه الإستراتيجية في مواضع دون أخرى لما من شيوع لمعنى الكلمة أو العبارة عند معاصريه واستمساك أهل زمانه بحدود دلالتها وسهولة

¹⁵⁰ المرجع نفسه، مادة أرز.

¹⁵¹ المرجع نفسه، مادة بخل.

¹⁵² المرجع نفسه، مادة ذرف.

¹⁵³ المرجع نفسه، مادة شخص.

¹⁵⁴ المرجع نفسه، مادة فحص.

¹⁵⁵ أساس البلاغة، مادة قحل.

¹⁵⁶ المرجع نفسه، مادة نغف.

¹⁵⁷ المرجع نفسه، مادة نمق.

الوصول إلى المقصود منهما لذا لم يجد بداً من تقديم المعنى وإنما اتجه مباشرة إلى عرض أساليب بليغة وردت فيها الكلمة من شأنها أن تعين القارئ على صقل مواهبه الكلامية والتعبيرية إن هو أحاط بها لأن غايته لم تكن استقصاء ما لهذه المواد من معنى بقدر ما كانت تقديم أجود العبارات التي تحوي تلك الكلمات أو إحدى مشتقاتها لذا نستطيع الحكم على أساس البلاغة من هذا المنطلق على أنه معجم « خاص بالتعبير العربي ، وبالعبارة المؤلفة البليغة، لا أنه معجم للألفاظ. فيوضع المعجم المكان اللائق به ويقدر حق قدره، وينسب إلى مؤلفه فضل توجيه حركة المعاجم إلى العبارات الأدبية البليغة، بدلاً من الاقتصار على الألفاظ»¹⁵⁸. بمعنى أن الزمخشري اهتم وهو يشرح المعنى المجازي خصوصاً والمعنى عموماً بتلقي القارئ كيفية القول بأحسن أسلوب وهو ما تلمسناه من عباراته التي تتخلل الشرح إذ يقول: فقل أو لا تقل.

اللجوء إلى وسيلة التجنيس في الشرح:

تتعدد وتتنوع الوسائل التي اعتمدها الزمخشري في بيان معنى الكلمات المداخل من أساس البلاغة، فمنها ما كانت منه بعفوية غير متقصدة وبدون تكلف، ومنها ما كان منه مقصوداً، ومن بين هذه الوسائل التي اتخذها دون تكلف ما يعرف في حقل الدراسات المعجمية بـ: **التجنيس**، وهو الذي يقوم على أساس اعتبار «الكلمة وحدة كلامية مستقلة بحسب سياقها»¹⁵⁹.

بمعنى أن للكلمة أصلاً ومعنى ثابتاً يتغير بحسب تغير السياق الذي ترد فيه، أو بتعبير آخر، التجنيس أن يكون اللفظان متشابهين لفظاً ومختلفين معنى وهذا الاختلاف في المعنى سببه الاختلاف في السياق الذي ترد أو تتوزع فيه اللفظتان، والأمثلة على هذه الطريقة في تقديم معنى الألفاظ في أساس البلاغة كثيرة جداً خاصة في الشق المخصص منه للمعنى المجازي إذ نجد الزمخشري قد أكثر من سياقة عبارات وتراكيب لغوية متنوعة ومختلفة ترد فيها الكلمة المدخل أو إحدى مشتقاتها التي تتغير دلالتها من سياق إلى آخر وهي صفة بارزة في أساس البلاغة أشار عليها الزمخشري في المقدمة من « التوقيف

¹⁵⁸ المرجع السابق، ص 566.

¹⁵⁹ محمد رشاد الحمزاوي، المعجم العربي نشأته وتطوره، ص 162.

على مناهج التركيب والتأليف، وتعريف مدارج الترتيب والتصنيف؛ بسوق الكلمات متناسقة لا مرسلة بددا، ومتناظمة لا طرائق قدا»¹⁶⁰.

ومن الأمثلة الكثيرة ما يقوله وهو يشرح معنى مادة دنر: ومن المجاز: ثوب مدنر: وشيه كالدينار، نحو مسهم ومرحل؛ قال ابن المفرغ:

وبرود مدنرات وقز وملاء من أعتق الكتان

وبرنون مدنر اللون: أشهب مفلس بسواد. وكلمته فدنر وجهه إذا أشرق¹⁶¹

وقال: ومن المجاز: زخر القوم: جاشوا لحرب أو نفير، وزخرت الحرب؛ قال:

إذا زخرت حرب أيوم عظيمة رأيت بحورا من بحورهم تطمو

وزخر النبات: طال. وأخذت الأرض زخاريها إذا زخر نباتها، وأخذ النبات زخاريه.

وكل أمر تم واستحكم فقد أخذ زخاريه. واكتهلت زواخر الوادي: أعشابه، قال زهير:

فاعتم واكتهلت زواخره بنتهاول كتهاول الرقم¹⁶²

وشرح معنى مادة ذكي بالطريقة نفسها إذ يقول: ذكت الشمس ذكاء، ومنه قيل لها:

ذكاء، وللصبح ابن ذكاء لأنه من ضوءها... وفيه ذكاء: فطنة وتوقد. وقد ذكا يذكو... وذكا

المسك ذكاء... وسحاية مذكية: مطرت مرارا¹⁶³.

اللجوء لوسيلة الاشتراك عند الشرح:

اعتمد الزمخشري في مواضع من الأساس على وسيلة شرح المعنى بالاشتراك والذي

يَعْتَبَر «الكلمة وحدة لغوية لها أصل ثابت لا يتغير مع الزمن وله مدلولات ثانوية تستخرج

¹⁶⁰ مقدمة أساس البلاغة، ص 08.

¹⁶¹ أساس البلاغة، مادة دنر.

¹⁶² المرجع نفسه، مادة زخر.

¹⁶³ المرجع نفسه، مادة ذكي.

من الاستعمال»¹⁶⁴ أي أن المؤلف وهو يشرح المعنى المجازي للكلمات ركز على ما تفيد من دلالة باعتبار الغرض الذي تستعمل لأجله، وبتعبير آخر، يهتم الزمخشري إذ يشرح بالكلمة المستعملة أو ما تحمله الكلمة من دلالة من استعمال إلى استعمال، وهو أمر توصلنا إلى تتبع معالمه بناء على طريق الزمخشري في تقديم المعنى المجازي للمواد وتحديدا استنادا إلى عباراته الخاصة عند الشرح، فهو يشير إلى ذلك بألفاظ معينة تدل على كيفية استعمال اللفظ والمعنى الذي تفيد في ذلك الاستعمال الخاص مستعينا عند ذلك بما سمعه وتناقله من أفواه العرب نحو قوله في معنى مادة قسر.

الخلط بين المجاز وباقي فروع البلاغة عند الشرح:

أول ظاهرة تبرز في معجم أساس البلاغة هي اهتمام الزمخشري فيه بالمعنى المجازي للكلمة والعبارة على حد سواء، والذي يتجلى تحت ما اصطلح عليه صاحب المعجم بعبارة **ومن المجاز**، وهو أمر يجعل القارئ يتوقع من المؤلف اهتماما بتفسير وشرح المعنى الحاصل في العبارات المؤسسة على المجاز اللغوي بعلاقاته المختلفة، وهي قضية حاصلة في المعجم يدركها المطلع على الأساس في الصفحة الأولى منه وتحديدا في شرحه لمعنى مادة **أبد** والذي خص لها الزمخشري معنا مجازيا إضافة إلى المعنى الأول الذي كان قد استهل به الشرح، وهي ظاهرة تتكرر في أغلب مواد المعجم لكن المسألة التي نود طرحها في هذا المقام هو خلط الزمخشري فيما اعتبره مجازا وباقي فروع البلاغة والتي كان قد خصص لها الزمخشري مسبقا عناوين في الأساس والتي تظهر في قوله **ومن الكناية، ومن الاستعارة، ومن مجاز المجاز** لكننا مع ذلك نجد يقحمها - مصرحا وغير مصرح بها - فيما كان قد نص عليه على أنه من المجاز، فلم نجد علة لهذا الجمع بين المفاهيم سوى لاعتبار الزمخشري المجاز بمفهوم أوسع مما يعرف به الآن وهو ما جعله في محطات متعددة من المعجم يأتي بالاستعارة والكناية تحت ما نص عليه على أنه من المجاز أو أنه لم يميز تمييزا دقيقا وهو يؤلف أساس البلاغة بين مفاهيم هذه الاصطلاحات وإلا كيف نعلل منه هذا الخلط في الأمثلة التي ساقها كل مرة.

¹⁶⁴ محمد رشاد الحمزاوي، المعجم العربي نشأته وتطوره، ص161.

ومن بين الأمثلة على عدم التمييز بين هذه الاصطلاحات ومفاهيمها والذي كان من المؤلف وهو ما نقرأه في شرح معنى العديد من المواد نحو مادة ثأر إذ يقول:

ومن المجاز: لا ثأرت فلانا يده أي لا نفعناه، مستعار من ثأرت حميمي إذا قتلت به¹⁶⁵ من المجاز: نثط اللحم: فسد، مستعار من فساد الثأطة¹⁶⁶، وقال في معنى مادة ثعب: صاح به فانثعب إليه إذا وثب يجري إليه. وشد أتعوب؛ قال:

لها إذا حر الحرار واللوب قوائم عوج وشد أتعوب
وقال أبو دؤاد:

وكل قائمة تهوي لوجهتها لها أتى كفرغ الدلو أتعوب

وكلاهما من باب الاستعارة إلا أن الطريق مختلف. وثعب عليهم الغارة: شنها، وثعب البعير شقشقته: أخرجها؛ قال:

يَثَعَبُ رَقَشَاءُ كلون الأرقم¹⁶⁷.

والأمر نفسه نقرأه في شرح معنى مادة جرح قائلاً: ومن المجاز: جرحه بلسانه: سبه، وجرحوه بأنياب وأضراس إذا شتموه وعابوه. وبئس ما جرحت يداك واجترحت يداك أي عملتا وأثرتا، وهو مستعار من تأثير الجرح¹⁶⁸.

وشرح معنى العديد من المواد وهو يخلط في ثنايا الشرح المجاز بأنواع أخرى من فنون البلاغة نحو معنى مادة جعد إذ قال: ومن المجاز: ثرى جعد ونبات جعد. ورجل جعدُ الأصابع، وجعد البنان: للبخيل. وأما قولهم: جعد للجواد فمن الكناية عن كونه عربياً سخياً، لأن العرب موصوفون بالجعودة...¹⁶⁹، وفي مرات أخرى يجمع بين المجاز والاستعارة نحو ما كان في شرح معنى مادة جرد فيقول: ومن المجاز: جرد الفرس،

¹⁶⁵ أساس البلاغة، مادة ثأر.

¹⁶⁶ المرجع نفسه، مادة تأط.

¹⁶⁷ أساس البلاغة، مادة ثعب.

¹⁶⁸ المرجع السابق، مادة جرح.

¹⁶⁹ المرجع نفسه، مادة جعد.

وأصابه الجرد وهو أن ينتفخ عصب قوائمه، شبهت تلك النفخ بالجرذان. ومنه قولهم: جرد
الشجرة: شدبها¹⁷⁰

¹⁷⁰ المرجع نفسه، مادة جرد.

خاتمة

خاتمة:

إذا حاولنا أن نرتب أساس البلاغة في قائمة مؤلفات الزمخشري فإنه سيأتي في مرتبة ما بعد مؤلف الكشاف، وهذا الأمر سيعلل لنا مسائل وقضايا عدة تعذر علينا فك طلاسمها لما عزلنا المعجم عن هذه الملابس، فأوعزنا نتيجة ذلك هذه الطرافة والجدة في التأليف إلى تمسك الزمخشري بالمذهب المعتزلي الذي من جملة ما ينص عليه الاعتراف بثبوت وجود المجاز في اللغة ليتخذ الزمخشري من معجمه أداة طيعة لتكريس هذا المبدأ مع ما كان من انقسام وتضارب في الآراء حول مسألة وجود المجاز في اللغة من عدمه، إلا أننا لا يمكن أن ننفي الجانب الفني والبلاغي من أساس البلاغة لما تضمنه من نصوص يُشهد لها بالبلاغة من آيات قرآنية، أحاديث، أمثال وأشعار إذ قدم بذلك للقراء مادة تراثية ثرية إضافة إلى تقديم معاني كلمات وتراكيب اللغة العربية الذي لم يقف عند ما اعتدنا أن نقرأ لهم في معاجم اللغة من الاكتفاء بالمعنى الأول أو الحقيقي أو اللغوي للمواد وإنما زاد على ذلك فكرة تقديم المعنى المجازي لهذه المواد تحت ما نص عليه في المعجم ب: ومن المجاز الذي تفنن في ذكره والإحاطة به منطلقاً من النقطة نفسها التي انطلق منها في تأليف الكشاف من:

*الإيمان بالعقل وتقديسه وجعله آله إذ يفسر من استنباط للمعاني والإتيان لمعنى الكلمة بأكثر من وجه حين يأتي بها في أكثر من سياق.

* استعانة الزمخشري حذقه في علمي المعاني والبيان بأن فرق بين الاستعمال الحقيقي والمجازي للكلمات.

*الاعتماد في الشرح على السماع والنقل.

*كثرة الاستشهاد خاصة بالشعر وعدم اكرثائه بمسألة الاحتجاج.

*الانتقال بمعنى الآية من الحسي إلى المعنوي.

إلا أن كل هذا لم يمنع الزمخشري من الوقوع في الهنات سواء المنهجية من خلطه بين بعض المواد الواوية واليائية، ففي مادة (أبي) يذكر بعض الصيغ الواوية فبعد أن يذكر أبي الله إلا أن يكونوا كذا وأبي على وتأبي: امتنع وهو أبي الضيم والإباء.

ويقول ومن المجاز: لا أبا لك ولا أبا لغيرك ولا أبا لشانك ويقال لعمر أبيك وهو أبو الأضياف... فيذكر (أب) في (أبي) وهو من الأبوة، وفي (أتى) بعد أن يذكر أتيت الأمر وأتينا واستأتيناك يذكر إتاة الأرض وإتاة بمعنى الرشوة وهي من (الأتو).

كما أن الزمخشري يذكر مواد الثلاثي وهذا مخل بنظام الترتيب المعجمي في الأبنية والصيغ. أما الهنات المعرفية فقد انحصرت في عدم استعمال المصطلحات البلاغية (المجاز، الاستعارة، الكناية) فيما وضعت له وكان الأجدر به أن يفرق بين هذه الأنواع في النصوص التي أوردها في أساس البلاغة.

أهمل الزمخشري نسبة العبارات والأساليب البلاغية إلى أصحابها وبهذا يكون قد فوت غرضاً مهماً إذ كان يمكن عن طريق ذكر أصحاب هذه النصوص أن تعرف العصور التاريخية التي قيلت فيها مما كان سيلقي الضوء على التسلسل التاريخي للمعاني اللغوية.

حتى وإن وقع الزمخشري عند تأليفه أساس البلاغة في مطبات منهجية وأخرى معرفية إلا أن ذلك لا ينقص أبداً من قيمة هذا المعجم الفريد وما امتاز به من سهولة في المنهج بدليل أننا نجد معاجم عدة قد نحت المنحى نفسه في الاعتماد على الترتيب الألفبائي واعتباره خطة لها في تقديم المواد. وكذا تفرقه فيه بين المعاني اللغوية والمجازية لأساليب اللغة العربية وتنوع في الاستراتيجيات المتخذة في تقديم كليهما وكل ذلك الموروث اللغوي والبلاغي الذي حواه والذي جعل منه المعجم السياقي الوحيد في المكتبة العربية.

وخلاصة القول، بعد فراغنا واستكمالنا لجميع محطات البحث، من وقوف عند كل فصل وعند كل العناوين التي تفرعت عن كل فصل استقرينا على النتائج التالية:

• فرق الزمخشري في أساس البلاغة بين المعنى اللغوي أو الحقيقي كما يجب أن يطلق عليه وبين المعنى المجازي للمواد وذلك أولاً في الآليات أو الاستراتيجيات التي اتخذها في التعريف بالأول وتلك التي اتخذها في بيان الثاني.

• اهتم الزمخشري في أساس البلاغة وفي المعنى الذي جعله لغويا ببعض القضايا اللغوية التي من المفترض أن يحيط بها وهو في معرض التعريف باللفظة لغويا، لكنه مع ذلك وقع في الاقتصاد إلى حد الشطط والإخلال بوظيفة أساس البلاغة من حيث تتبع وإيراد ما أمكن من المعلومات اللغوية لكل كلمة، فحتى وإن تطرق في المعجم لصرف ونحو ودلالة الكلمات إلا أن ذلك بصفة عرضية لأنه قد جعل قبل ذلك كل اهتمامه منصبا على حشد العبارات والتراكيب البليغة.

• اهتم مؤلف الأساس فيما نص عليه على أنه من المجاز بما تدل عليه العبارات من دلالة مجازية، وهو ما عبر عنه في المتن بعبارة ومن المجاز التي تواترت على حد الاطراد.

• إضافة إلى تفريق الزمخشري بين المعنى الحقيقي والمجازي للمواد، فإنه فرق كذلك بين أنواع المجاز فنجد تارة يعبر عن ذلك بما اعتبره من الاستعارة والكناية والتشبيه ومجاز المجاز إلا مع كل هذا العناء في التفريق بين الاصطلاحات إلا أننا نجد لا يميز تمييزا صارما بين المفاهيم التي تميز كل مصطلح عن الآخر ما جعله يخلط بينها في مناسبات عدة.

• أشار الزمخشري في مقدمة الكتاب إلى اهتمامه بالمعنى الحقيقي أو اللغوي لكننا في الواقع وبعد الاستقراء والتحليل لجميع الشروح التي جاءت لغوية كما اصطلح عليها ألفينا الزمخشري يتناسى تفريقه الذي بنى على أساسه الأساس فيمضي في سوق المعنى المجازي للكلمات والعبارات في معرض شرح المعنى المجازي، وكان ذلك بصراحة في مواضع عدة من الكتاب كان يشير على معنى على أنه مجازي، وفي مواضع أخرى لا يذكر ذلك صراحة وإنما يدرك بتحليل طريقته في الشرح أولا فنجد يهتم باللفظة في السياق لا معزولة عنه، وبالمعاني التي يأتي بها وهو يقدم معنى من المفروض أن يقوم على محاور الدرس اللغوي للكلمة لكنه يتعدى ذلك ويركز على ما تفيد الكلمات من معاني حافة.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المعاجم:

1- ابن فارس الرازي: مقاييس اللغة، د د ن، د ط، الجزء الثاني، 1986.

ثالثاً: الكتب:

1- أبو الفرج محمد أحمد: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، ط1، 1966 .

2- أبو زيد نصر حامد: الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز عند المعتزلة، المركز الثقافي العربي، ط5، 2003.

3- الحمزاوي محمد رشاد: من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً، دار الغرب الاسلامي، تونس، ط1، د ب، 1986.

4- السيوطي جلال الدين: المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، ج1، شرح وتعليق محمد أبو الفضل ابراهيم ومحمد جاد المولى بك وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، د س.

5- الجويني مصطفى الصاوي: منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، منشورات دار المعارف، د ط، مصر، 1968

-الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، د ط، لبنان، 1965.

6- حامد هلال عبد الغفار: مناهج البحث في اللغة والمعاجم، د د ن، ط1، د ب، 1991.

- 7- داود رابح: البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1997.
- 8- عبد البديع لطفي: فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ط1، 1997.
- 9- عبد الجليل محمد بدري: المجاز وأثره في الدرس اللغوي، بيروت، د ط، 1980.
- 10- عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، د ن، د ط، د ب، 1988.
- 11- الدقاق عمر: مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، د د ن، ط5، حلب، 1977.
- 12- عيد رجاء: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط2، د ت.
- 13- فتوح محمد: مفهوم المجاز ومجاز القرآن لأبي عبيدة دراسة في ضوء جهود نحاة الحالة والنحاة التحويليين، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1989.
- 14- محمد أحمد عبد السميع: المعاجم العربية دراسة تحليلية، دار الفكر للطبع، ط2، د ب ن، 1974.
- 15- معلوف سمير أحمد: حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز، دراسة في المجاز الأسلوبي واللغوي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق، 1966.
- 16- نصار حسين: المعجم العربي نشأته وتطوره، ج2، دار مصر للطباعة، ط2، مصر، 1986.
- 17- يعقوب طاهر محمود محمد: أسباب الخطأ في التفسير، دار الجوزي، ط1، المملكة العربية السعودية، 1425هـ.

رابعاً: المجلات والدوريات:

1-حسن محمد الخضر: المجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة، مجلة، مجمع اللغة العربية الملكي.

2-عيدان حيدر جبار: المتن اللغوي في المعجم العربي القديم، دراسة في كيفية المعالجة، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد السادس، حزيران، 2008.

3-ميموني مولاي إدريس: قضايا الدلالة في اللغة العربية بين الأصوليين واللغويين- الحقيقة والمجاز، ديوان الدراسات المحكمة، 2012.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

- مقدمة.....ص03
- تمهيد.....ص09
- الفصل الأول: المعنى اللغوي في أساس البلاغة.....ص13
1. مقومات التعريف اللغوي عند الزمخشري في أساس البلاغة.....ص19
1. الأصوات في أساس البلاغة.....ص19
2. ضبط الكلمة من الناحية النطقية.....ص20
3. الضبط بالنص أو العبارة.....ص21
4. الضبط بالوزن أو المثال.....ص21
5. الصرف في أساس البلاغة.....ص22
6. تتبع المشتقات في الشرح.....ص23
- 1.6. الأفعال.....ص25
- 2.6. المصادر.....ص30
- 3.6. الصفة المشبهة.....ص32
7. بيان المفرد والجمع.....ص33
- 1.7. بيان النسب إلى الاسم.....ص33
- 2.7. بيان جنس الكلمة من حيث التذكير والتأنيث.....ص33
- أ. النحو في أساس البلاغة.....ص34
- ب. الدلالة في أساس البلاغة.....ص34

٢. استراتيجيات الزمخشري في شرح المعنى اللغوي.....ص36
1. التعريف الاسمي.....ص37
2. التعريف الفعلي.....ص37
3. الشرح بالتعريف.....ص38
- 1.3. شرح المعنى بالمغايرة.....ص39
- 2.3. الشرح بالمرادف.....ص41
- أ. التفسير بكلمة واحدة.....ص41
- ب. التفسير بأكثر من كلمة.....ص42
4. اللجوء إلى السياق في بيان المعنى اللغوي.....ص43
- 1.4. عبارات مسجوعة.....ص44
- 2.4. أبيات من الشعر.....ص45
- 3.4. الأمثال.....ص46
- 4.4. آيات وأحاديث.....ص46
5. الاستشهاد بغيره وبنفسه أثناء الشرح.....ص48
6. مبادلات المعنى اللغوي والمجازي في أساس البلاغة.....ص49
- الفصل الثاني: المعنى المجازي في أساس البلاغة.....ص54
٢. مقومات المعنى المجازي في أساس البلاغة.....ص57
1. المجاز المرسل.....ص58
- 1.1. الجزئية.....ص58

- 2.1. الكلية.....ص59
- 3.1. السببية.....ص59
- 4.1. الفاعلية والمفعولية.....ص59
- 5.1. المكانية.....ص60
2. الاستعارة.....ص60
- 1.2. ينص على أنها استعارة.....ص61
- 2.2. ينص على أنها من المجاز.....ص61
- 3.2. لا ينص عليها.....ص62
3. الكناية.....ص63
4. التشبيه.....ص64
5. مجاز المجاز.....ص65
6. ومن المشتق.....ص66
٣. استراتيجيات الزمخشري في شرح المعنى المجازي.....ص68
1. اللجوء إلى التفسير.....ص68
- 1.1. التفسير بعبارة.....ص68
- 2.1. تفسير معنى كل العبارة.....ص69
- 3.1. تفسير معنى اللفظة لا كل العبارة.....ص70
2. شرح المعنى بالشاهد.....ص71
- 1.2. آيات قرآنية.....ص71

- 2.2. أبيات من الشعر.....ص72
- 3.2. الأمثال.....ص73
- 4.2. عبارات بليغة.....ص74
3. الاهتمام في الشرح بتغير الدلالة.....ص74
- 1.3. تقديم أصل المعنى ضمناً.....ص74
- 2.3. تقديم أصل المعنى صراحة.....ص75
4. اللجوء للساق في بيان المعنى المجازي.....ص75
- أ. الإتيان بمعانٍ متقاربة.....ص75
- ب. الإتيان بمعانٍ متباعدة.....ص76
5. اللجوء للمنطق عند الشرح.....ص76
- 1.5. من العام إلى الخاص.....ص77
- 2.5. من المحسوسات إلى المعقولات.....ص77
- 3.5. من الشائع إلى الأقل شيوعاً.....ص77
6. استقصاء مجازات المادة.....ص79
7. الاختصار.....ص79
8. إلغاء الشرح.....ص80
9. اللجوء إلى وسيلة التجنيس.....ص82
10. اللجوء إلى وسيلة الاشتراك.....ص83
11. الخلط بين المجاز وباقي فروع البلاغة.....ص84